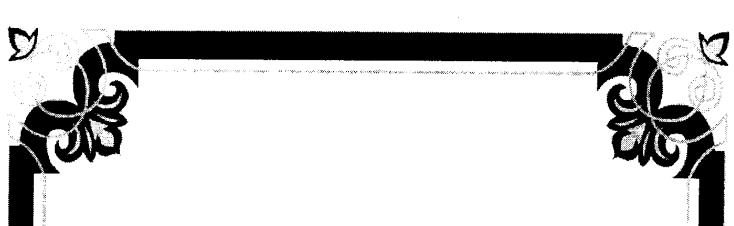


الخلق والسلوك القويم

فى القرآن الكريم والسنة المطهرة لتكوين الشخصية الفاضلة

جمع وتعليق

عبد المنعم أحمد عبد الرحيم

رئيس التوجيه العلمى بالأزهر الشريف

« سابقا »

راجعه وقدم له

فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد صالح عيد الحجار

مستشار الفقه بالأزهر الشريف

مكتبة الإيمان - المنصورة

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــــم
لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الحجار
مستشار الفقه بالأزهر الشريف (سابقا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فقد اطلعت على أصول كتاب «الخلق والسلوك القويم فى القرآن الكريم والسنة المطهرة» لجامعه الأستاذ عبد المنعم عبد الرحيم موجه عام العلوم بالأزهر (سابقا). فوجدته كتابا فيما يفيد شباب العصر لسهولة تبويبه وحسن عباراته فهو ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وقد قسمه إلى سبعة مباحث:

المبحث الأول: النية والإخلاص والتحذير من الرياء

المبحث الثانى: العلم والعقل.

المبحث الثالث: الصدق فى القول والعمل.

المبحث الرابع: الصبر.

المبحث الخامس: من الجود والسخاء.

المبحث السادس: حصاد اللسان.

المبحث السابع: الشكر والخوف والرجاء.

وكلها مباحث تحض على الخير وترغب فيه وتنهى عن الشر وتبعد عنه وبهذا يتحقق الهدف «تكوين الشخصية الفاضلة» ولا شك فى أنه بذل فى جمعه جهدًا يشكر عليه ونرجو له به حسن المثوبة من الله عز وجل فهو لايضيع أجر المخلصين إنه عز وجل نعم المولى ونعم النصير.

فى غرة جمادى الأول ١٤٢٠

١٢ / أغسطس ١٩٩٩

محمد صالح عيد الحجار

مستشار الفقه بالأزهر سابقاً



مقدمـــــة

«الحمدلله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وأشهد أن لا إله إلا الله الرءوف الرحيم، وأشهد أن محمدا رسول الله، الداعى إلى الخير بإذنه بعثه الله فى الأميين رسولا ﴿... يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران : ١٦٤)...

اللهم آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته، إنك لا تخلف الميعاد.

أما بعد

أقدم هذا الجهد المتواضع عله يكون فى ميزان حسناتى، لينتفع به عامة المسلمين.. أخلاقاً وسلوكا وليسيروا على منهج الله الذى وضعه لعباده، قرآنا وسنة.

فالقرآن دستور هذه الأمة، ووحى الله أنزله على قلب نبيه... تبيانا لكل شىء

وجاءت سنة النبى ﷺ لتفصيل ما أجمل وهداية للبشر.. تحض على الفضيلة والخلق العظيم..

فكان القرآن الكريم والسنة الشريفة.. شرعة ومنهاجا لخير أمة أخرجت للناس.

فآيات القرآن الكريم، والسنة النبوية تدور حول الترغيب فى الخير والترهيب من الشر.

فقرآن الله وسنة نبيه ﷺ مقترنان لا يزيغ عنهما إلا هالك ولا ينكرهما إلا مارق.

ولقد اخترت فى بحثى بعض السلوك التى افتقدناها فى هذا العصر، حيث راودتنى الفكرة أن أجمع - بقدر استطاعتى - من آيات الله الكريمة وأحاديث رسوله الشريفة وما يرتبط ذلك بالأحاديث القدسية مستعينا

بأمهات الكتب القديمة والحديثة، علَّ ذلك يفيد الأمة.. فيتحقق المجتمع المسلم.. خلقا وسلوكا مبنيا على أساس عقيدة سليمة..

وإنى أسأل الله تعالى أن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم، كما أسأله خير الجزاء، والله المستعان.

وأختم مقدمتى عن التحريم والتحليل فى القرآن الكريم.. فالتحريم ليس لمجرد التحريم ولا التحليل لمجرد التحليل، كما يقول أستاذنا الفقيه، العالم الجليل (الشيخ محمد الغزالى رحمه الله:

«التحليل لكل ما هو طيب، والتحريم لكل ما هو خبيث»

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف: ١٥٧) فعندما حرم الله حراماً ليس تضييقا على العباد ولكنه الرحمة من الله واستنقاذ الإنسان من عبودية الشهوات..

- حرم الخمر لأنها تذهب بالعقل
- وحرم القمار لأنها تسبب العداوة والبغضاء
- وحرم الزنا لاختلاط الأنساب

فالتحريم إذن دافع للضرر

فالضرر أن يعبد الإنسان نزواته وعند ذلك تصبح نفس الإنسان الأمارة بالسوء، حجاباً بينه وبين الله تعالى

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩)

هذا السر هو الغشاوة التى تحجب الأبصار عن منهج الله. فعلى المسلم أن يخضع نفسه للطاعات وفضائل الأعمال، ولتحقيق ذلك يروض نفسه على السلوك القويم ويجاهد نفسه.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩)

مهندس عبد المنعم احمد عبد الرحيم

محتويات البحث

١ ـ المبحث الأول:

- النية والإخلاص والتحذير من الرياء

٢ ـ المبحث الثانى:

- العلم والعقل

٣ ـ المبحث الثالث:

- الصدق في القول

٤ ـ المبحث الرابع:

الصبر

٥ ـ المبحث الخامس:

- البذل والجود، والكرم والسخاء.

٦ ـ المبحث السادس:

- حصاد اللسان

٧ ـ المبحث السابع:

- الشكر والخوف والرجاء

المبحث الأول

النية والإخلاص

والتحذير من الرياء

فالنية: معناها القصد والإرادة،وحقيقتها شرعا: قصد الشىء مقترنا بفعله. وحكمها أنها فرض فى كل عمل، ومحلها القلب والنية تختلف باختلاف الأعمال:

ففى الوضوء النية.

وفى الصلاة والصوم كذلك.

والنية والإخلاص، وجهان لعملة واحدة، مرتبطان كلاهما برباط وثيق.

وقد قال العلماء إن للنية معنيين:

أحدهما: تمييز العبادات بعضها عن بعض.

كتمييز صلاة عن صلاة.

وتمييز صيام رمضان عن غيره.

وكتمييز الغسل من الجنابة من غسل النظافة.

والمعنى الثانى: بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو لله وحده أم لغير الله أم لشريك مع الله؟.

وهذا هو إخلاص النية الذى عبر عنها القرآن الكريم بلفظ الإرادة فى مواضع كثيرة:

﴿منكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ (آل عمران: ١٥٢)

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ (الأنفال: ٦٧)

﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الأنعام ٥٢)

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ (هود: ١٥)

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ (الإسراء: ١٨)

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ١٣٤)

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨)

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الروم: ٣٨)

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (الروم: ٣٩)

﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٢)

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٩)

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٥)

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (النجم: ٢٩)

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ (النساء: ٢٧)

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ (النساء: ٣٥)

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ (النساء:٩١)

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ (الحج: ١٦)

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر: ١٠)

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠)

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣)

أما الإخلاص: فهو سرٌّ من أسرار الله يضعه فى قلب من أحبَّ من عباده فهو يميز صحة العبادة وإفرادها لله تعالى.

فمثلا الجلوس فى المسجد بنية الاعتكاف، عبادة، ولكن بنية الاستراحة تكون عادة وهكذا فى جميع الأعمال.

ومن مزايا الإخلاص: لذة المناجاة ومضاعفة الثواب وصفاء الباطن، وتنوير القلب ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لله تعالى.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣)

وفى الحديث القدسى:

«الإخلاص سرٌّ من أسرارى، أستودعه قلب من أحببت من عبادى، لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده»

وقال الله تعالى:

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر: ٢، ٣)

أى أن الله لا يقبل عمل عبد إلا ما كان خالصا لوجه الله.

وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)

وقال تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة ٥)

وعموما فإن كان القصد بالعمل وجه الله، وابتغاء مرضاته، أثيب عليه، وإن كان القصد غير ذلك لا ثواب للمرء عليه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٩)

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٨)

وقال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤)

وقال تعالى:

﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤)

وقال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد ٢٠-٢٢)

وقال تعالى حكاية عن إبليس اللعين ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢، ٨٣)

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١٤٥، ١٤٦)

وقال تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: ٢)

وقال تعالى:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ (الزمر: ٥٤)

وقال تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: ١١)

وقال تعالى:

﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ (الزمر: ١٤)

وقال تعالى:

﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (البقرة: ١٣٩)

وقال تعالى:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩)

وقال تعالى:

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (الروم: ٢٦)

وقال تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠)

وقال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (يونس: ٢٢)

وقال تعالى:

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (لقمان: ٣٢)

وقال تعالى:

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر: ١٤)

وقال تعالى

﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٦٥)

وقال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)

وقال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥١)

وقال تعالى:

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يونس: ١٠٥)

وقال تعالى:

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصافات: ٣٨ - ٤١)

وقال تعالى:

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات، ٧٣، ٧٤)

وقال تعالى: حكاية عن قول أحد أنبيائه «سيدنا إلياس عليه السلام لقومه»

﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات: ١٢٦ ـ ١٢٨)

وقال تعالى:

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات: ١٥٨ ـ ١٦٠)

وقال تعالى:

﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الأَوَّلِينَ . لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات: ١٦٨، ١٦٩)

وقال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص)

وهكذا فإن عباد الله المخلصين هم الذين أخلصوا عبادتهم لله ـ لا رياء فيها ـ طمعا فى جنته وخوفا من ناره فهم:

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب: ٢٣)

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا ﷺ بجوامع الكلم فقال:

«**بعثت بجوامع الكلم**»

وقال:

«**أنا محمد النبى الأمى، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه**»

وقال:

«**إنى أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لى الكلام اختصارا**» وفى رواية «**واختصر لى الحديث اختصارا**»

وإنى لجامع حكم رسول الله ﷺ فيما يتعلق بالنية والإخلاص والتحذير من الرياء عسى الله تعالى أن يوفقنى فلا تزل قدمى من تحتى، فهو نعم المولى والمعين.

النية والإخلاص والبعد عن الرياء من كلام سيد الأنام ﷺ

كلٌّ منا له أن ييسر ما يشاء، ولكن يبدأ الحساب لحظة خروج النية إلى حيز الفعل.. فيعطى الله لكل إنسان من جنس نيته، وهو عين العدل.

فمن هم بمعصية ولم يفعلها، رهبة من الله تعالى كتبت له حسنة، ومن هم بمعصية فعملها كتبت سيئة واحدة. فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة قال:

«**إن الله كتب الحسنات والسيئات فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله تعالى حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**» متفق عليه.

وقال تعالى:

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (القصص: ٨٤)

والله سبحانه لايمكن أن يفرض عليك نية السوء فأنت مخير لا مسير، فهو يهديك إذا بادرت فى سريرتك بميل إلى هدى

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٨)

ومعنى ذلك أن سنة الله فى الخلق.. أن الروح لايدخلها قهر ولايكرهها الله على شىء

فقد كفل الله تعالى للقلب المخلص الحماية ولم يجعل لجند الشرِّ سلطانا قاهرا عليه إلا إذا أراد صاحب هذا القلب أن يدعو دواعى الشرّ.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠)

فعلى الإنسان أن يختار طواعية طريق الخير أو طريق الشر.

﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)

فمن اختار طريق السوء.. يرى الله بقدرته فى نيته الإصرار فإنه لا يكرهه على الخير.. وإنما يختار ما يختار لنفسه ويمد له فى غيّه [1].

والإخلاص هو خلاصة الخلاصات على حد قول الدكتور عبد العزيز كامل رحمة الله عليه.

فالإخلاص هو تفرغُ القلب إلى الله تعالى، وتوجه إليه حبا لذاته، كقول رابعة العدوية:

«إن كنت أعبدك طمعا فى جنتك فاحرمنى منها وإن كنت أعبدك خوفا من نارك فأدخلنى فيها..»

والإخلاص خضوع لعظمة الخالق، وتواضع لجلاله وطلباً لمرضاته، وتفانٍ فى طاعته، وهرباً منه إليه، إذ لا منجاة منه إلا إليه.

---

(١) القرآن محاولة لفهم عصرى. للدكتور مصطفى محمود.

قال تعالى:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر: ٢، ٣)

والدين هو الخضوع والانقياد الكامل لله وحده.

وقال تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ..﴾ (الروم: ٣٠)

وقال تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧)

إخلاص لله فى القول والعمل، وبرهان على صحة الإيمان وسلامة اليقين، فلا إيمان بلا إخلاص، واليقين أعلى درجات الإيمان، والإخلاص مفتاح اليقين.

فمن أخلص دينه لله أحسن الله جزاءه وتغمدّ بواسع رحمته.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء: ١٤٦)

والنفاق نقيض الإخلاص، فالمنافق فى الدرك الأسفل من النار

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ (النساء: ١٤)

والمنافق لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكيه؛ لأنه أشرك مع الله مَدْح الناس له، فغضب الله عليه فى الدنيا والآخرة ولو صلى وصام وفعل الخيرات.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون: ٤ ـ ٧)

ثم انظر معى رحمك الله ماذا حدث فى غزوة العسرة؟

تقدم رجال لرسول الله ﷺ يريدون قتال الكفار ولكن رسول الله ﷺ لم يستطع تجنيدهم، فتخلفوا فنزل قول الله تعالى، عاداً لهم ضمن أصحاب الأعذار فى رفع الجناح عن تأخرهم عن الغزو ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩٢)

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ولذلك نوه رسول الله ﷺ بإخلاص هؤلاء القوم فى قوله الذى رواه البخارى:

«إن أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا، حبسهم العذر»

هلم معى إلى أقوال المصطفى ﷺ الذى أوتى جوامع الكلم ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣، ٤)

وهلم إلى أحاديث من نور..

الحديث الأول:

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»

- الأعمال: قولا وفعلا وصحتها من العباد بالنيات على عموم الأعمال
- إنما لكل امرىء ما نوى:

إنما يكتب لكل شخص ما

- **هجرته:**

التحول من مكة إلى المدينة وكانت واجبة قبل فتح مكة . ولكن لاهجرة بعد الفتح.

- إلى ما هاجر إليه:
- لا ثواب له عند ربه

والنية عمل القلب، وهى نصف العلم كما قال الإمام الشافعى

وهذا الحديث الشريف إشارة إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل، ليس له جزاء، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة

ولقد قال أبو داود فى سننه: جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث . ويكفى الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث:

الأول: إنما الأعمال بالنيات.

الثانى: من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه.

الثالث: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

الرابع: الحلال بيِّن والحرام بيِّن.

• الحديث الثانى:

عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ:

«**يغزو جيشٌ الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم**»

فقلت يا رسول الله:

كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟!

قال: «**يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم**»

• الحديث الثالث:

وعن عائشة ﵂ قالت:

قال رسول الله ﷺ:

«**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**»

• الحديث الرابع:

عن جابر بن عبدالله الأنصارى ﷺ قال:

كنا مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك. فقال:

«**إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم المرض**»

وفى رواية «**إلا شاركوكم فى الأجر**»

• الحديث الخامس:

ومن حديث زيد بن ثابت عن النبى ﷺ قال:

«**من كانت همه (نيته) الدنيا فرق الله شمله وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا رهى راغمة**»

• الحديث السادس:

عن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ قال:

«**إنك لم تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أُثِبْتَ عليها، حتى اللقمة تجعلها فى فىّ امرأتك**»

• الحديث السابع:

عن عمر عن النبى ﷺ قال

«**لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له**»

بمعنى: لا أجر لمن لم يحتسب ثواب عمله عند الله عز وجل ولذلك قال بعض الصالحين: تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل

• الحديث الثامن:

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا ينفع قول إلا بعمل ولا ينفع قول ولا عمل إلا بنية. ولا ينفع قول ولا عمل ولا نية إلا بما وافق السنة»

• الحديث التاسع:

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، فأى ذلك فى سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ:

«من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»

• الحديث العاشر:

عن أبى هريرة قال: سمعت حبيبى يقول:

«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها

فقال: ما عملت فيها؟

قال: قاتلت فيك حتى استشهدت،

قال: كذبت، ولكن قاتلت لأن يقال جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار.

ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟

قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن فيك

قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرّفه بنعمه فعرفها.

فقال: فما عملت فيها؟

فقال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك

قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار»

لما سمع معاوية هذا الحديث بكى حتى غشى عليه فلما أفاق قال:

صدق رسول الله. قال الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾ (هود: ١٥، ١٦)

• الحديث الحادى عشر:

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال:

«**من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب عرضا من الدنيا لم يجد عرف (ريح) الجنة يوم القيامة**»

• الحديث الثانى عشر:

عن كعب بن مالك عن النبى ﷺ قال:

«**من طلب العلم ليمارى به السفهاء أو يجارى به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**»

• الحديث الثالث عشر:

وهو عن (الرياء المحض):

فقال فيه الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ (النساء: ١٤٢)

وصاحب هذا الرياء يستحق المقت من الله والعقوبة.

ولقد قال رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى:

«**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه**» أو قال: «**فأنا منه برىء**»

● الحديث الرابع عشر

عن أبى سعيد بن أبى فضاله: (من الصحابة) قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ: من كان أشرك فى عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله عزّ وجلّ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك**»

● الحديث الخامس عشر:

من حديث الضحاك بن قيس عن النبى ﷺ قال:

«**إن الله عزّ وجلّ يقول:**

أنا خير شريك، فمن أشرك معى شريكا فهو لشريكه، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله عز وجل، فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أخلص له، ولا تقولوا هذا لله وللرحم، فإنها للرحم وليس لله منها شىء، ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم فإنها لوجوهكم وليس لله منها شىء».

● الحديث السادس عشر:

عن أبى أمامة الباهلى قال:

«أتى رجل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر؟

فقال رسول الله ﷺ: «**لا شىء له**» ثم قال: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجه الله**»

والمعنى: أن العمل إذا خالطه شىء من الرياء كان باطلا.

● الحديث السابع عشر:

عن: عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ:

«**لا يقبل الله عملا فيه مثقال حبة من خردل من رياء**»

● الحديث الثامن عشر:

عن عطاء الخرسانى قال:

يا رسول الله إن بنى سلمة كلهم يقاتل، فمنهم من يقاتل للدنيا، ومنهم من يقاتل نجدة، ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله. فأيهم شهيد؟

قال: «**كلهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هى العليا**»

والمعنى: إذا كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه بعد ذلك نية الرياء فلا يضر، ولا ينقص من أجره شىء.

أى أن العبد يجازى على أصل نيته الأولى، أما إذا عمل العبد العمل لله خالصا ثم ألقى الله له الثناء الحسن فى قلوب المؤمنين، فهذا فضل ورحمة.

وفى هذا المعنى جاء الحديث الذى رواه أبو ذر عن النبى ﷺ، أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير، يحمده الناس عليه، فقال النبى ﷺ:

«**تلك عاجل بشرى المؤمن**»

● الحديث التاسع عشر:

ومن حديث أبى هريرة قال: قال رجل: يارسول الله، الرجل يعمل العمل فيسره، فإذا أَطّلَع عليه أعجبه.

فقال النبى ﷺ:

«**له أجران، أجر السر، وأجر العلانية**»

● **الحديث العشرون:**

عن أبى مسعود عن النبى ﷺ قال: «**إذا أنفق الرجلُ على أهله يحتسُبها فهى له صدقة**»

ومعنى «يحتسبها» أن الأجر فى الإنفاق يحصل بقصد القربة، ومن لم يقصد القربة لم يؤجر.

الخلاصة

ليس على النفس شىء أشق من الإخلاص. وقال يوسف بن الحسن الرازى:

أعز شىء فى الدنيا الإخلاص وكم اجتهد فى إسقاط الرياء عن قلبى وكأنه ينبت فيه على لون آخر.

وكان من دعاء مطرف بن عبدالله كما رواه ابن عيينة:

اللهم إنى أستغفرك مما تُبْتُ إليك منه ثم عدت فيه

وأستغفرك مما جعلته لك على نفسى ثم لم أوف به لك.

وأستغفرك مما زعمت أردت به وجهك فخالط قلبى منه ما قد عملت.

أما النية:

ومما تدخل النية فيه من أبواب العلم: مسائل الأيمان

فلغو الحديث لا كفارة فيه، وهو ما جرى على اللسان من غير قصد بالقلب:

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم﴾

بمعنى: الأيمان يرجع إلى نية الحالف وما قصد بيمينه.

فالنية: هى قصد القلب.

سئل الإمام أحمد: أتقول قبل التكبير فى الصلاة شيئا. قال: لا

وأختم كلامى بكلام ابن مسعود الصحابى الجليل الذى قال النبى ﷺ لأصحابه:

«إن قدم ابن مسعود أثقل من جبل أحد يوم القيامة»

قال ابن مسعود:

كان فينا رجل خطب امرأة من الحى (أو قال: أعرابى) فأَبَتْ أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر فتزوجته، فقال عبدالله بن مسعود:

من هاجر يبتغى شيئا فهو له.

وكان يسمى هذا الأعرابى: مهاجر أم قيس وقد أُشتهر أن قصة "مهاجر أم قيس" هى كانت سبب قول رسول الله ﷺ

«**من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها** ...»

الإخلاص والنية
من أحاديث الله القدسية
بلسان النبى الأمى

الحديث القدسى هو ما رواه النبى ﷺ عن رب العزة تبارك وتعالى على غير النسق القرآنى ونظمه وإعجازه، ولكنه فى نظمه وأسلوبه بسائر الحديث النبوى أشبه.

فالفرق بين القرآن والحديث القدسى:

أن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى.

وأما الحديث القدسى فهو ما كان لفظه من عند الرسول ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام أو الإلقاء فى الرُّوع.

ولراويها صيغتان:

الأولى:

قال رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه.

الثانية: قال الله تعالى، فيما رواه عنه رسول الله ﷺ والمعنى واحد.

والحديث القدسى لا يتعرض لتفصيل الأحكام الفقهية، ولا لبيان الشرائع التعبدية كالحديث النبوى ولكنه يركز على بناء النفس الإنسانية وتقويمها وتربيتها على الأغراض الشرعية، والمقاصد الربانية، فيحض النفس على الطاعات والمندوبات، وفى تحذيرها من المعاصى والمنكرات وفى الدعوة إلى الخير والفضيلة، ومكارم الأخلاق، وتوجيه النفس إلى حب الله وطلب رضاه، والترغيب فى الجنة والترهيب من النار.

والخلاصة فإن **الحديث القدسى** يدور: فى فلك الوعظ والتوجيه والتربية.

أما **الحديث النبوى** فهو جزء من الوحى الإلهى بمعناه دون لفظه تاركا للنبى التعبير عن المعنى الموحى به إليه.

جمع الأحاديث القدسية:

أهم الكتب هى:

الكتاب الأول كتاب «الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية» للحافظ المناوى المتوفى عام ١٠٢٥ هـ وعدد الأحاديث ٢٧٢ حديثا مرتبة على الحروف.

الكتاب الثانى كتاب «الإتحافات السنية فى الأحاديث القدسية» للشيخ محمد المدنى.

وعدد الأحاديث ٨٦٤ حديثا رتبها على ثلاثة أبواب،

أولها: ما كان مبدوءا بلفظ «قال»

والثانى: ما كان مبدوءا بلفظ «يقول»

والثالث: مالم يكن مبدوءا بواحد منهما وهذا الأخير مرتب على الحروف مع مراعاة الحرف الثانى

وهذان الكتابان (للحافظ المناوى، وللشيخ المدنى) فإنهما من الأحاديث القدسية الكثيرة.

الكتاب الثالث كتاب «الأحاديث القدسية»

أعدته لجنة القرآن والحديث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

عدد أحاديثه: ٤٠٠ حديثا، مرتبة ترتيبا موضوعيا مما يسهل الانتفاع بها. إلا أن أحاديثه جمعت من كتب السنة ومن موطأ الإمام مالك دون غيرها من كتب السنة، ففاته طائفة كثيرة من الأحاديث القدسية، وأكثرها يحتاج إلى معرفة الصحيح من الضعيف.

وقد ظهر كتاب رابع: (جامع الأحاديث القدسية)

موسوعة جامعة مشروحة ومحققة لأبى عبد الرحمن عصام الدين الصبابطى ويمتاز بأنه:

أولا: كتاب جامع، عدد أحاديثه ١١٥٠ حديثا.

ثانيا: كتاب مرتب ترتيبا موضوعيا.

ثالثا: كتاب محقق الأسانيد يفيد طلاب العلم.

رابعا: شرح غريب الحديث وعلق عليه.

الأحاديث القدسية
في
الإخلاص والنية والرياء

***

• الحديث الأول:

عن أبى الدرداء رضي الله عنه

«**أوحى الله إلى بعض أنبيائه:**

قل للذين يتفقهون بغير الدين، ويتعلمون لغير العلم، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون لباس مُسُوكِ الكباش، وقلوبهم قلوب الذئاب، ألسنتهُم أَحلى من العسل، وقلوبُهم أمرُّ من الصَّبِر، إيَّاى يخدعون؛ أو بى يستهزئون؛ فبى حلفتُ لأُتيحن لهم فتنةً تذرُ الحليمَ فيهم حيران»

معانى الكلمات:

مُسُوك الكباش: جلود الكباش

الصَّبِر: الدواء المر وهذا كناية عن سوء قلوبهم وفساد نيتهم

• الحديث الثانى:

عن عائشة رضي الله عنها، قال النبى ﷺ:

«**قال الله تبارك وتعالى: عبادٌ لى يَلبَسُون للناس مُسُوكَ الضَّأن، وقلوبُهم أمرُّ من الصَّبِر، ألسنتهم أحلى من العسل، يَخْتِلُون الناس بدينهم. أبى يَغْتَرُّون؟ أم علىّ يَجْتَرِئُون؟ فبى أقسمتُ لأَلْبِسنَّهُم فتنةً تذرُ الحليمَ فيها حيران»**

معانى الكلمات: مسوك الضأن: جلود الضأن.

يَخْتِلُون: أى يخدعون الناس بإظهار التقوى والورع طلبا لما فى أيديهم.

● الحديث الثالث:

عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ:

«**قال الله تعالى: أنا أَغْنَى الشُّركاءِ عن الشرك مَنَ عَمِلَ عملا أشرك فيه معى غيرى تركتهُ وشركه**»

وفى رواية: «**فأنا منه برىء وهو للذى أشرك**»

● الحديث الرابع:

عن الضحاك بن قيس الفهرى: قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إن الله عزّ وجلّ يقول: أنا خير شريك، فمن أشرك مَعِىَ شريكا فهو لشريكه، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله عزّ وجلّ فإن الله لا يقبلُ إلا ما أُخْلِصَ له، ولا تقولوا هذا لله وللرَّحم، فإنها للرحم وليس لله منها شىءٌ، ولا تقولوا: هذا لله ولوجُوهكم فإنها لوجوهكم وليس لله منها شىءٌ**»

● الحديث الخامس:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**أولُ الناسِ يدخلُ النارَ يوم القيامة ثلاثةُ نفرٍ، يُؤتَى بأحدِهم، فيقول: ربِّ علمتنى الكتاب فقرأتُه آناءَ الليلِ والنهارِ رجاءَ ثوابِك فيقال: كذبتَ. إنما كنتَ تصلى ليقال: إنك قارئٌ مُصَلٍ وقد قيل. اذهبوا به إلى النار.**

ثم يؤتى بآخر فيقول:

رب رزقتنى مالا، فوصلت به الرحمَ وتصدقتُ به على المساكين، وابنَ السبيلِ رجاء ثوابك وجنتك فيقال: كذبت، إنما كنت تتصدقُ وتصلُ ليقالَ: إنك سمحٌ، جوادٌ، وقد قيل. اذهبوا به إلى النار.

ثم يجاء بالثالث فيقول: ربِّ خرجتُ فى سبيلكَ فقاتلت فيك حتى قتلت، مقبلاً غيرَ مدبر، رجاءَ ثوابك وجنتك، فيقال: كذَبْتَ، إنما كنتَ تقاتلُ ليقالَ إنك جَرِئٌ شجاعٌ، وقد قيل. اذهبوا به إلى النار»

فلما سمع معاوية هذا الحديث قال: قد فُعِلَ بهؤلاء هذا، فكيف بمن بقى من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدا ثم مسح وجهه وقال:

صدق اللّهُ ورسولهُ:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود: ١٥، ١٦)

• الحديث السادس:

لما دخل المسلمون مسجد الجابية (مركز على مسيرة يوم جنوبى غربى دمشق قسمت فيه غنائم اليرموك)

قال شداد بن أوس:

إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت من رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله عزّ وجلّ يقول:

أنا قسيم لمن أشركَ بى، ومن أشرك بى شيئاً فإن عَمَلَهَ قليلهُ وكثيره لشريكه الذى أشرك به، وأنا عنه غنى»

ثم قال رسول الله ﷺ:

«من صلى يرائى فقد أشرك، ومن صام يرائى فقد أشرك. ومن تصدق يرائى فقد أشرك»

ومعنى هذا الحديث فى التحذير من الرياء والتوجيه إلى إخلاص العمل لله.

• الحديث السابع:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«يُجَاءُ يومَ القيامـة بصحف مُـخَتَّمـةٍ فتنصبُ بين يدى الله عزّ وجلّ فيقول الله عزّ وجلّ لملائكته:

القُوا هذا، واقبلوا هذا.

فتقول الملائكة:

وعزتك ما رأينا إلا خيرا

فيقول وهو أعلم:

إن هذا كان لغيرى ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما كان ٱبْتغِىَ به وجهى»

• الحديث الثامن:

لابن النجار عنه:

«إن الله ليضحكُ إلى الرجلين إلى القوم إذا صَفُّوا فى الصلاة، والرجل قائمٌ، فى ظلمة بيتهِ، يقول: عبدى قام فىَّ لا يُرَائى بعمله أحدًا غيرى»

• الحديث التاسع:

ذكره الغزالى فى إحياء علوم الدين:

«قال الله تعالى:

الإخلاص سرُ من سِرِّى، استودعُته قلبَ من أحببتُ من عبادى»

• الحديث العاشر:

قال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ:

«إذا كان آخر الزمان صارت أمتى ثلاث فرق:

فرقةٌ يعبدون الله خالصا، وفرقةٌ يعبدون الله رياء، وفرقةٌ يعبدون الله ليستأكلوا به الناس.

فإذا جمعهم الله يوم القيامة قال للذى يستأكل الناس: بعزَّتِى وجلالِى ما أردت بعبادتى؟

فيقول:

وعِزَّتك وجلالِكَ أستأكلُ به الناسَ.

قال: لم ينفعك ما جمعت، انطلقوا به إلى النار.

ثم يقول للذى كان يعبده:

بعزَّتِى وجلالِى ما أردت بعبادتى؟

قال: بعزَّتِك وجلالِك رياء الناس.

قال: لم يصعد إلىّ منه شىء، انطلقوا به إلى النار.

ثم يقول للذى كان يعبده خالصا:

بعزَّتِى وجلالى، ما أردت بعبادتى؟

قال: بعزَّتِكَ وجلالِكَ، أنت أعلم بذلك من أردتُ به، أردتُ به ذكرَك ووجهك.

قال: صدق عبدى، انطلقوا به إلى الجنة»

● الحديث الحادى عشر:

روى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رجلا قال:

حدِّثنى حديثا سمعته من رسول الله ﷺ.

فقال: سمعت رسول الله ﷺ قال لى من حديث طويل:

«يقول الله لملائكته:

أنتم الحفظة على عمل عبدى، وأنا الرقيب على نفسه، إنه لم يردنى بهذا العمل وأراد به غيرى فعليه لعنتى.

فتقول الملائكة: عليه لعنتُك ولعنتُنا.

وتقول السموات: عليه لعنةُ الله ولعنتُنا.

وتلعنه السموات السبع ومن فيهن»



المبحث الثاني

العلم والعقل

فى آيات الله البينات

فى العلاقة بين الإسلام والعقل للإمام الراحل العارف بالله شيخ الإسلام: د. عبد الحليم محمود (على حد قول تلميذه الدكتور محمد عبد الفضيل القوصى - الأستاذ بجامعة الأزهر): الإسلام نزل هاويا للعقل، فإذا كان الإسلام قد أتاح للعقل الحرية فى البحث والاستقراء القائم على الملاحظة والتجربة للجوانب المادية والطبيعية فى الوجود فإن الدين قيد هذه الحرية بقيد واحد وهو أن تكون ثمار البحث العلمى موجهة لخير البشرية وخدمة الإنسانية.

أما فى المجال الاعتقادى والأخلاقى والتشريعى فإن العقل ينبغى أن يهتدى بالدين وأن يسير وفقا له بأن يتبع أوامره ويتجنب نواهيه. «أ.هـ»

مقدمة فى فضل العلم

إن التعليم والتعلم رَوْح الإسلام ـ التعليم الدينى والدينوى ـ فالأمة كما أنها فى حاجة إلى العالم الفقيه فهى فى حاجة إلى الطبيب والمهندس وعالم الفضاء، وعالم الذرة. وكلاهما مسخران لنفع الناس.

ويمكن أن يقال على حد تعبير المرحوم الشيخ محمد الغزالى (المصرى):

لو اشتغل رجل بعلوم الأرض ينوى إخصابها لكفاية المسلمين ولزيادة الإنتاج راجيا ثواب الله، ربما يزيد ثوابُه على رجل صف قدميه فى محرابه يحيى الليل بالصلاة.

ولقد قال بعض العلماء:

«إن العالِمَ أفضل من العابد القائم»

وهذا هو رسول الله ﷺ يأمر كاتبهُ «زيد بن ثابت» بإجادة السريانية.

ولما كانت الرسالة المحمدية كافة لجميع الشعوب فتعلم جميع اللغات من ضرورات الإسلام، لنشر رسالة التوحيد إلى ربوع الأرض، سهلها وجبالها، وأدغالها وأحراشها.

فهاهم زنوج فى الأحراش والأدغال والغابات يعيشون على الفطرة، لم يصل إليهم داعية أو واعظ ـ فهم من أهل الفترة حتى الآن.

ها هو جبريل ينزل على النبى ﷺ وهو يتحنث (يتعبد) فى غار حراء، ويقول له:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١ ـ ٥)

وإذا كان العالِمُ خبيرا فى الكيمياء أو علم الچيولوچيا أو علم الفضاء

أو علم الطب أو علم النبات أو علم الحيوان أو علم الفسيولوجى «علم وظائف الأعضاء» أو علم البيولوجى أو علم الوراثة وغيرها، إنما الله سبحانه وتعالى هداه إلى معرفة مكنونات خلقه واكتشاف عظمة ملكوته، فكان هو أقرب الناس إلى الله.

إنه يرى هذا الكون بما فيه قانونا ثابتا لا يختل، الله صانعه ومبدعه.

﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ (الملك: ٣)

وخلاصة القول:

إن الإسلام أطلق العنان للعقل البشرى للتفكر فى ملكوت الله لبيان قدرته والمستحق للعبودية والربوبية. ولذلك عُنى المسلمون الأُوَلُ بجميع فروع المعرفة؛ دينية أولًا ثم دنيوية ثانية، وكلاهما يسيران فى خطين متوازيين.

فكان المفكر الإسلامى عالما فى الفقه والحديث وعلوم القرآن كما أنه عالم فى الفلك، والطب، والهندسة، والجبر، وتحضير الأدوية من الأعشاب الطبية المعروفة باسم (الفارماكولوچى)، وَملِّما بشتى العلوم الأخرى التى تنفع البشرية.

فكان علمًا يمشى على الأرض.

ولذلك يحضرنى قول أحد التلاميذ يصف أستاذه، فيقول:

«كان أستاذنا شيخا صالحا، عالما بالمنقول والمعقول»

ومن هنا ظهرت نهضة إسلامية، وحضارة ترعرعت، أشعت على العالم كله.. شرقه وغربه لا ينكرها المستشرقون، مهما زاغت أبصارهم وقلوبهم..

«فالعلم يشرح الصدر، والجهل يورثه الضيق،.. وهذا العلم النافع الموروث عن رسول الله ﷺ فأهله أوسع الناس صدرا وأحسنهم أخلاقا، وأطيبهم عيشا راضين بما قسم الله لهم.

فقد روى الترمذى فى "جامعه" عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا دخل النور القلب، انفسح وانشرح**» قالوا: وما علاقة ذلك يا رسول الله؟ قال: «**الإنابة إلى دار الخلود، والتجافى عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله**»[1]

وقد ذكر ابن القيم الجوزية فى «زاد المعاد» فى الجزء الثانى أن هذا النور هو العلم النافع أو الإنابة إلى الله تعالى وعدم الغفلة عن ذكره.

(١) رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول والطبرى؛ وذكره السيوطى فى «الدر المنثور» (حققه: عبد القادر الأرنؤوط فى زاد المعاد لابن القيم الجزء الثانى).

آيات الله والعلم

إن أول آية نزلت على نبى الله محمد ﷺ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق: (١-٥) وهذه أول صيحة تبين قيمة العلم وتعلن الحرب على الأمية.

وعندما ذكر الله تعالى العلماء قرنهم بنفسه وملائكته فى الشهادة بوحدانيته والإقرار بعدالته.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨)

﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣)

إن الضمير الدافع إلى الخير الحريص على رضاء الله هو ضمير العالم المستنير الخبير بربه:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩)

وقد نوه القرآن بفضل العلماء الذين يعرفون عظمة الخالق من عظمة الخلق. من نبات وحيوان وجبال وإنسان وغيره

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: ٢٢)

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٧، ٢٨)

عندما نزل القرآن لم يؤمن به جهال مكة ولكن مؤمن أهل الكتاب، وهم علماؤهم ـ يخرون سجدا لسماع آيات الله:

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩)

مشركو مكة جحدوا ما أُنزل على محمد ﷺ ولكن علماء يهود ـ ومنهم عبدالله بن سلام ـ عرفوا بعلمهم فى التوراة أنه الحق.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبأ: ٦)

لقد وعد الله العلماء بالأجر العظيم والدرجات العلا فى الجنة حيث يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١)

وهناك سورة «القلم» بدأها الله عزّ وجلّ بقوله:

﴿نٓ (١) وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم: ١، ٢)

---

(١) ن: أحد حروف الهجاء: والله أعلم بمراده.

ـ **والعلم**: أقسم رب العزة بالعلم.

مع أحاديث النبى ﷺ والعلم

● الحديث الأول:

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«**لاحسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها، ويُعلمُها الناس**»

الحسد المراد بالحسد هنا: الغبطة وهو أن يتمنى مثله.

هلكته فى الحق أى أهله وأقربائه.

● الحديث الثانى:

عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ

«**مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير.**

وكان منها أجادبُ أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسَقوْا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان، لاتمسك ماءً، ولا تنبت كلأً، فذلك مثلُ من فقُهَ فى دين الله، ونَفَعَهُ ما بعثنى الله به، فَعَلِمَ وعَلّمَ، ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلتُ به»

أصاب أرضا: نزل فيها

القيعان: مفردها القاع: الأرض السهلة التى لانبات فيها ولا حجارة.

● الحديث الثالث:

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«**من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهَّل الله له به طريقا إلى الجنة**»

يلتمس: يطلب

***

• الحديث الرابع:

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«**من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه، لا ينقصُ ذلك من أجورهم شيئًا**»

• الحديث الخامس:

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إذا مات ابن آدم انقطع عملهُ إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»

• الحديث السادس:

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى وما والاهُ، وعالِمًا أو مُتعلِّماً**»

ما والاه: من كان وليا لله، متبعُ لمنهج الله.

• الحديث السابع:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**من خرج فى طلب العلم، كان فى سبيل الله حتى يرجع**»

• الحديث الثامن:

عن أبى أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**فضلُ العالِم على العابدِ كفضلى على أدناكم**»

ثم قال رسول الله ﷺ:

«**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملةَ فى جحرها**

وحتى الحوت ليُصَلُّوَن على معلمى الناس الخيرَ»

● الحديث التاسع:

عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض، حتى الحيتانُ فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. وإن العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورّثوا العلمَ، فمن أخذه، أخذه بحظ وافر»

ـ يبتغى: يطلب

ـ حظ: نصيب

● الحديث العاشر:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«نضَّرَ الله امرءًا سمع منا شيئًا، فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»

نضّر: حسن خلقه وقدره

● الحديث الحادى عشر: (من كتم علما)

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«من سُئِل عن علم فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار»

كتمه: أخفاه

● الحديث الثانى عشر:

(الغرض من العلم)

وعن أبى هريرة قال: قال رسول اللهﷺ:

«من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عزّ وجلّ لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرَضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة»

عرضا: ريح

• الحديث الثالث عشر:

(الفَتْوىَ بغير)

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلمَ بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالما، اتخذ الناسُ رؤساءَ جُهّالا، فسُئِلُوا، فأفتوْا بغير علم، فضلُوا وأضلُّوا»

***

أما بعد:

فعن معاذ بن جبل (فى طلب العلم وفضله):

«تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عباده، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، هو الأنيس فى الوحشة، والصاحب فى الغربة، والمحدث فى الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء.

يرفع الله به أقواما، فيجعلهم فى الخير قادة، يقتدى بفعالهم، ترغب الملائكة فى خُلتهم «مصاحبتهم».

ويستغفر لهم الحيتان فى البحر، والسباع فى البر، فالعلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار فى الظُّلَمِ

يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلا فى الدنيا والآخرة.

التفكر فيه يبلغ الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام.

● قبض العلماء:

لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، فعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، ويكثر الهرج - أى القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض.)** (البخارى ومسلم)

● قال ابن حجر فى باب العلم للحث عليه: فإنه لا يرفع إلا بقبض العلماء.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض**

العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسُئِلوا فأفتوْا بغير علم فضلوا وأضلوا» (البخارى ومسلم والترمذى)

وقال ابن عباس: (عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وعليكم بالعلم.)

وقال عمرو بن الخطاب: (هل تدرون ما يهدم الإسلام؟ يهدمه زَلَّةُ العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين.)

وقيل لسعيد بن جبير، ما علامة هلاك الناس؟

قال: (إذا هلك علماؤهم)

● وصف العلماء «أهل الحديث» من كلام الخطيب البغدادى:

(قد جعل الله أهله أركان الشريعة، وَهَدم بهم كل بدعة شنيعة، فهم أمناء الله فى خليقته، والواسطة بين النبى ﷺ وأمته، والمجتهدون فى حفظ ملته، أنوارهم زاهرة، ومذاهبهم ظاهرة وحججهم قاهرة.

الكتاب عدتهم والسنة حجتهم، والرسول ﷺ فئتهم، وإليه نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يُقبل منهم ما رَووا عن الرسول ﷺ وهم المأمونون عليه العدول، حفظة الدين وخزنته، وأدعية العلم وحملته، إذا اخْتُلِف فى الحديث كان إليهم الرجوع. فما حكموا به فهو المقبول المسموع، منهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم من كادهم قصمه الله ومن عاندهم خذله الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعتزلهم، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم خير، وإن الله على نصرهم لقدير.

فقد جعلهم رب العالمين الطائفة المنصورة، حراس الدين، وصرف عنهم كيد الكائدين، لتمسكهم بالشرع المتين، واقتفائهم آثار الصحابة والتابعين. قبلوا شريعته قولا وفعلا وحرسوا سنته حفظا ونقلا حتى ثبتوا بذلك أصلها، وكانوا أحق بها وأهلها، وكم من ملحد يريد أن يخلط بالشريعة ما ليس فيها، والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها، فهم الحفاظ لأركانها والقوامون بأمرها وشأنها إذا صدف عن الدفاع عنها، فهم دونها يناضلون، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.

أثر العلم فى سلوك العالِم

العلم نوعان: **النوع الأول**: علم دنيوى كالطب والهندسة والكيمياء وعلم الفضاء وعلم الأدوية والهندسة الوراثية.

وهذه العلوم فرض كفاية فى هذا العصر لمواجهة أعداء الإسلام بعكس ما كان الحاجة غير ملحة فى العصر الأول، والعالم الذى يريد بعلمه رفع شأن أمته فهو مع النبيين والصديقين والشهداء

أما **النوع الثانى** فهو العلم الشرعى الذى شرعه الله على المسلمين للعبادة. الباعث على العمل والذى جاء به الأنبياء جميعا.

وإذا كان النوع الأول يخص فئة معينة فإن النوع الثانى يخص كل مسلم وموحد، ولو أن النوع الأول يزيد المؤمن إيمانا ويقينا.

قال سفيان الثورى (إنما يُتعلم العلم لتقوى الله)

وعن النبى ﷺ قال: «**لاتزول قَدَمَا عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس**» منها.. «**عن علمه ماذا عمل فيه؟**»

وكان رسول الله ﷺ يستعيذ من أربع فيقول «**أعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يستجاب له**»

فطالب العلم يجعل علمه لله.. لارياء فيه.. بعيدا عن التفاخر والمباهاة فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

«**أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.. منهم رجل قرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما علمت فيه؟ قال:**

تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن

قال: كذبت ولكن ليقال فلان قارئ فقد قيل

وقال ﷺ: «**إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة عالما لم ينفعه الله بعلمه**»

وقال معاذ بن جبل: (اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا)

وقال الحسن بن على: (إذا سمعت قولا حسنا فرويدا لصاحبه. فإن وافق قولهُ عمله فنعم، ومن خالف فعلهُ قوله فإنما يوبخ نفسه)

فالعلم الذى لا ينفع صاحبه يكون وبالا عليه يوم القيامة.

والعالم عليه أن يجمع بين العلم والعمل به ليمتلئ قلبه إيمانا ونورا فالعلم وسيلة إلى الإيمان، ومن ملأ الله قلبه بالإيمان وافق فعله عمله.

وعلى العالم أن يفتى فيما يعلم، فإذا أفتى بغير علم ضل وأضل ولا حرج أن يقول: لا أعلم، فقد قالها إمام المدينة «مالك» [1] اسمع قول رسول الله ﷺ: «**ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، أشدها فتنة على أمتى الذين يقيسون الأمور لآرائهم**»

واسمع قول المصطفى ﷺ: «**لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا تحتازوا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار، النار**»

وقال ﷺ: «**من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا ليتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»

وقال علىّ رضي الله عنه (يا حملة العلم، اعملوا به، فإن العالم من علم فعمل ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم.. تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف علمهم عملهم، يقعدون حلقا، يباهى بعضهم بعضا حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لاتصعد أعمالهم تلك، إلى الله عزّ وجلّ).

وعن أبى مسعود رضي الله عنه «كونوا للعلم رعاة ولاتكونوا له رواه»

وعن أبى الدرداء قال: «لاتكون تقيا حتى تكون عالما، ولا تكون بالعلم جميلا حتى تكون به عاملا»

(١) الموافقات للشاطبى. جـ١

وقال الثورى: «العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا»

وعن الحسن بن على قال «الذى يفوق الناس فى العلم جدير أن يفوقهم فى العمل.. عُلِّمْتم فَعلِمتُم ولم تعملوا فوالله ما ذلكم بعلم»

وعن ابن مسعود قال: «ليس العلم عن كثرة الحديث إنما العلم خشية الله والعلماء الذين لا يعملون بما يعلمون فليسوا من الراسخين فى العلم وإنما هم رواه»

وقال الإمام مالك: «ليس العلم بكثرة الرواية ولكنه نور يجعله الله فى القلوب.. والحكمة والعلم نور يهدى به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل»

والعالم يظهر عليه علامة ظاهرة، هو التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، وذلك العمل بالعلم من غير مخالفة ويقتدى ممن أخذ عنه، ويتأدب بأدبه كاقتداء الصحابة بالنبى ﷺ واقتداء التابعين بالصحابة رضوان الله عليهم، أما من غلب عليهم الهوى، غطى على القلوب، فلا تتجاوز مواعظهم حناجرهم وأطراف ألسنتهم، لأنه ما يخرج من القلب يستقر فى القلب» وأريد أن أقرر حقيقة تغيب على البعض: فالمناهى فللإنسان القدرة عليها جملة من غير مشقة، ولكن الأوامر فلا قدرة للمسلم على فعلها جميعا. فقد جاء فى الحديث الشريف:

«فإذا نهيتكم عن شىء فانتهوا وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم»

وبعد.. أريد وقفة... ما موقف الإسلام من الحضارة الإنسانية، إن الدين والعلم يتفقان، فالإسلام حض على أن ننهل من العلم كل العلم ما استطعنا وإلا نكون آثمين ﴿.. هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩).

● الصدق فى القول والعمل (فى كتاب الله)

الصدق صفة جامعة لخصال البر كلها:

- فالإخلاص ـ صدق
- والخشوع فى الصلاة ـ صدق
- والبذل فى السر والعلانية ـ صدق
- وكظم الغيظ ـ صدق
- والعفو عن الناس ـ صدق
- والأمانة ـ صدق
- والوفاء بالعهد ـ صدق
- والحياء ـ صدق
- والصبر ـ صدق
- والشكر ـ صدق... صدق مع النفس، وصدق مع الله، وصدق مع الناس.

فلا يكون العبد صادقا إلا إذا تحلى بهذه الصفات كلها التى يحبها الله ورسوله. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة: ٣٥).. الوسيلة إلى الله هى العمل بكتابة وسنة نبيه القدوة والقائد وهو العابد ـ الزاهد ـ الصادق والأمين وهو صاحب الدعوة والعمل بها.

قال تعالى:

- ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)

● ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب:٢٣، ٢٤)

***

● ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧، ٨)

● «و»: أذكر

● «منك ومن نوح....»: بأن يدعو إلى عبادته

● «ميثاقا»: الوفاء بما حملوه

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: ١٥)

● لم يرتابوا: لم يشكوا فى الإيمان.

● وقال عزّ من قائل:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر: ٨)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٦، ٧)

فاسق: كاذب أو الخارج عن تعاليم الإسلام المتعدى لحدوده.

فتبينوا: فتثبتوا الصدق من الكذب

لعنتم: لأثمتم

وقد (نزلت فى الوليد بن عقبة عندما أرسله النبى ﷺ إلى بنى المصطلق لاستلام الصدقة)

***

● وقال تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٣٢، ٣٣)

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر ٦٠)

***

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢، ٣)

***

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥)

***

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

***

(قول الزور كذب):

فمعنى الزور: قلب الحقائق ومخالفة الواقع فمن شهد زورا ليضيع حقوق الناس فهو مزور كذاب ومن لبس ملابس العلماء ولم يكن على علم فهو مزور كذاب ومن تظاهر بالصلاح ولم يكن على هدًى من ربه فهو مزور كذاب.

وجاء فى وصف عباد الرحمن قوله تعالى:

● ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان:٧٢)

كراما: معرضين عنه.

● ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥)

رجل أقام سلعة فى السوق أيام النبى (ص) فحلف بالله:

لقد أعطى بها ما لم يعط. ليوقع فيها رجلا من المسلمين، وما أكثر ما يحدث ذلك من تجار هذا العصر من الحلف الكذب لترويج بضاعتهم.

فنزلت هذه الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٧٧)

***

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)

أريد أن أربط بين الصدق وبين الوفاء بالعهد فالعلاقة بينهما وثيقة.

فالمسلم إذا أوفى بعهده، كان صادقا مع الله... صادقا مع الناس... صادقا مع نفسه ومن لم يفِ بعهده ووعده.. كان كاذبا مع الله كاذبا مع الناس.. كاذبا مع نفسه.

قال تعالى:

﴿ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ(١)﴾ (المائدة: ١)

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ(٢) كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٤)

***

● **شهادة الزور**

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ صفة من صفات المؤمنين أما شهادة الزور فهى من كبائر الذنوب وهى من السبع الموبقات فمن تطوع بشهادة الزور مجاملة لجار أو صديق كان مقت الله عليه عظيما.

من شهد زورا فقد أساء إلى نفسه حيث اقترف إثما يستحق عليه العذاب، ثم أساء إلى من شهد له حيث أعانه على ظلم، ثم أساء إلى من شهد ضده فضاع الحق، ثم أساء إلى القاضى حيث قضى بغير الحق. عجبا لشاهد الزور.. ألم يعلم أن جوارحه شاهدة عليه يوم القيامة؟ (٣):

عجبا لشاهد الزور.. ألم يعلم أن جوارحه شاهدة عليه.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤)

● يا شاهد الزور، عين الله يقظة لاتنام.

● يا شاهد الزور.. ماذا أنت قائل؟ يوم المحشر يوم ينادى مناد: أين الأشرار؟.. أين العصاه؟ أين شاهدى الزور؟

● يا شاهد الزور.. اعلم أنك ستقف أمام محكمة قاضيها هو الله.. شاهدها لسانك.. أرضها المحشر.. والفصل.. إما إلى جنة وإما إلى نار ﴿يا

---

(١) العقود: العهود التى بينكم وبين الله والناس. (٢) بالعهد: إذا عاهدتم الله والناس.

(٣) من كلام الفقيه الشيخ محمد الغزالى رحمه الله.

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦).

ولا يَعوقكم عن أداء الشهادة شيء ولو على أنفسكم أو أبنائكم أو أقربائكم ولا يحل كتمانها حتى لا تضيع الحقوق ولا يفسد النظام الاجتماعى الذى يحرص الإسلام على ترابطه وتقويته.

﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٣)

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٠)

فلا تمنع الشهادة على غنى لغناه طلبا لرضاه ولا على فقير لفقره، رحمة به وعطفا عليه فلا تبتغوا الهوى بأن تعدلوا عن الحق (١).

---

(١) من كتاب «خلق المسلم» للمرحوم الفقيه محمد الغزالى.

المبحث الثالث

الصدق فى القول من

كلام سيد الأنام صلى الله عليه وسلم

الحديث الأول:

قال عليه الصلاة والسلام:

«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا.

وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، ومايزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»

الصدق من أقوى البراهين على صحة الإيمان وسلامة اليقين، أما الكذب فإنه أم الكبائر وينبوع الرذائل وأساس الشرّ كله، ودليل على سوء الخلق، ولقد كان النبى ﷺ من أشد الناس بغضا للكذب. تقول عائشة:

«ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب»

الكذب صفة ذميمة فيه تضيع الحقوق وتنتهك الحرمات وترتكب الجرائم، ويزرع الحقد فى قلوب الناس.

لقد سئل الرسول الكريم ﷺ:

(أيكون المؤمن جبانا؟

قال: «**نعم**»

أيكون بخيلا؟

قال: «**نعم**»

أيكون كذابا؟

قال: «لا. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (النحل: ١٠٥) إلخ

وإذا كان نبى الإسلام يعد الصدق من أفضل الفضائل فإنه يعتبر الكذب أولى علامات النفاق. حيث يقول:

«آية المنافق ثلاث. إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»

ويقول:

«تحروا الصدق ولو رأيتم الهلكة فيه فإن النجاة فيه وتجنبوا الكذب وإن رأيتم أن النجاة فيه، فإن الهلكة فيه»

مرت قافلة بها عبد القادر الجيلانى فاعترضها قطاع الطرق فنهبوها. وسألوا عبد القادر الجيلانى وهو مازال صغير السن. قالوا له: ما معك؟.

فقال لهم: معى كذا وكذا.

فلم يصدقوه.

وعندما علموا بصدق كلامه، سألوه: ما حملك على هذا؟.

قال: أوصتنى أمى ألا أكذب

فكان عبد القادر الجيلانى سببا فى توبتهم والرجوع إلى الله.

وإياك أن تفترى الكذب على برىء؛ لأن الرسول ﷺ حذرنا من ذلك بقوله:

«أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء، يشينه بها فى الدنيا، كان حقا على الله أن يذيبه يوم القيامة فى النار»

وقال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل: ١٠٥)

وقد بين نبى الله ﷺ، أن الكذب لا يزيد الرزق، وأن الصدق لا ينقصه فيقول:

«إن الرّوح الأمين نفث فى رُوعِى أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله، وأجملوا فى الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شىء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فإن الله لا يُبالى ما عنده بمعصيته»

وإن الكسب عن طريق الكذب والتضليل يمقته الله ويمحقه فيقول:

«البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما وإذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما»

وقال ﷺ:

«التاجر الصادق مع النبيين والصديقين والشهداء»

ويقول ﷺ:

«اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة

- **اصدقوا إذا حدثتم**
- **وأوفوا إذا وعدتم**
- **وأدوا إذا اؤتمنتم.**
- **واحفظوا فروجكم**
- **وغضوا أبصاركم**
- **وكفوا أيدكم»**

وسئل رسول الله ﷺ: ما عمل الجنة؟

(قال: «**الصدق.**

إذا صدق العبد بَرّ

وإذا بَرّ آمن

وإذا آمن دخل الجنة»

وإن شهادة الزور من أشد أنواع الكذب، بها يضيع الحقوق بين الناس، ويلحق بهم الهم ولذلك عدها الإسلام من أكبر الكبائر.

يقول المصطفى ﷺ:

«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» . كررها ثلاثا .

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «**الإشراك بالله، وعقوقُ الوالدين، وقتل النفس. وكان متكئا فجلس وقال: ألا وقول وشهادة الزور**» ومازال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

● ولقد حض الإسلام على تنشئة الأبناء منذ الصغر على الصدق، حتى يشبوا صادقين فى أقوالهم فهم رجال المستقبل.

«**من قال لصبى تعالى.. هاك أعطيك.. ثم لم يعطه فهى كِذْبة**»

وقال الرسول ﷺ فى مدح الصدق:

«**أربع إذا كن فيك، فلا يضرك مافاتك من الدنيا:**

- **صدق الحديث**
- **وحفظ الأمانة**
- **وحسن الخلق**
- **وعفة طعمه**

❖ **مراتب الصدق:**

● صدق فى القول

● صدق فى العمل

● صدق فى النية

***

● **درجات الكذب:**

أ - الكذب على الله

فقال تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾

ب - الكذب على رسول الله ﷺ

إن من أظلم الناس رجلا نسب إلى نبى الله قولا لم يقله حتى ولو كان الذى نسبه يحث على الفضيلة وينهى عن الرذيلة، فقد جاءنا رسول الله ﷺ بما يكفى ويشفى.

«**فمن كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**»

لقد حذرنا نبى الله من كذب الدجالين فقال:

● «**يكون فى آخر أمتى أناس دجالون كذابون، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم، ولا يفتنونكم**» (رواه مسلم)

● جـ الكذب فى الرؤيا

أى يقول:

رأيت فى منامى كذا ولم يكن قد رأى شيئا مما ذكر:

فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:

١٦ - «**أفرى الفرى** (أى أكذب الكذب) **أن يُرِىَ الرجل عينيه مالم تريا**»

● د - الكذب فى الشهادة

هـ الكذب فى البيع والشراء

ومن المشترين رجال قليلو الخبرة، يُصَدِّقون ما يقال لهم. فيقول نبى الله ﷺ:

١٧ - «**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا، هو لك مصدق، وأنت له كاذب**» (رواه البخارى)

ويقول الله تعالى:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (آل عمران: ٧٧)

***

● **خلف الوعد**

خلف الوعد من غير عذر كذب، وعلامة من علامات النفاق. وصدق الوعد محمدة ذكرها الله عزّ وجلّ من مناقب النبوة.

قال رسول الله ﷺ:

١٨ - «**آية المنافق ثلاث. إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»

● الكذب فى المزاح:

قد يكذب العبد وهو يمزح ليضحك من حوله، ويحسبها هينة وهى عند الله عظيمة، فرسول الله ﷺ كان لا يقول إلا حقا - ولو كان مازحا.

فهـا هـى امـرأة تطلب من رسـول الله ﷺ أن يدعـو لهـا لتـدخل الجنـة، قال لها:

«**لا يدخل الجنة عجوز**» وهو ﷺ صادق. فأهل الجنة شباب، وشابات.

● وقد حذرنا رسول الله ﷺ من الكذب فى المزاح.

فقال:

«**ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك منه القوم، فيكذب، ويل له، ويل له**»

وقال:

«**لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب وإن كان مازحا**»

***

وقال:

«**أنا زعيم ببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا**»

● **المبالغة فى المدح**

والإسلام يعد المبالغة فى المدح نوعا من الكذب والنفاق.

فقد قال النبى ﷺ

● «**لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد. فقولوا: عبد الله ورسوله**»

● وقال أبو هريرة: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو فى وجوه المداحين التراب.

* المراد بالمداحين:

* ((الذين جلبـوا على مـدح النـاس كـعـادة، أمـا من مـدح على فـعل محمود ترغيبا للناس على الاقتداء به - فليس بمداح.))

وقد بين رسول الله كيف تمدح أخاك؟ فقال:

«من كان مادحا أخاه لا محالة فليقل:

أحسب فلانا ـ والله حسيبه ولا يزكى على الله أحدا ـ أحسب فلانا كذا وكذا ـ إن كان يعلم ذلك منه» (رواه البخارى)

قالت أسماء بنت يزيد يا رسول الله: إن قالت إحدانا لشىء تشتهيه، لا أشتهيه أيعد ذلك كذبا؟

قال: ﷺ

- «**إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة**» (رواه مسلم)

الكذب على الأطفال

فعن عبدالله بن عامر قال: دعتنى أمى يوما ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا. فقالت:

تعال أعطك.

فقال لها رسول الله: «**ما أردت أن تعطيه؟**»

قالت: تمرا

فقال لها: «**أما وأنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كِذْبة**» (رواه أبو داود)

«**من قال لصبى تعالى، هاك، ثم لم يعطه فهى كذبة**» (رواه أحمد)

***

- **أمور يباح فيها الكذب**

(١) الحرب: من أجل الخدعة والمكيدة لصالح جيش الإسلام. فالحرب خدعة.

(٢) الصلح بين المتخاصمين: ليمهد للعفو والمصالحة.

فقد قال رسول الله ﷺ:

«ليس الكذب الذى يصلح بين الناس، ويقول خيرا»

(٣) الكذب على الزوجة ليرضيها: وبشرط ألا يؤدى ذلك إلى ضرر والمراد بالكذب المباح.

● وتقول أم كلثوم ﵂ ما رخص لنا رسول الله ﷺ الكذب إلا فى ثلاث:

الحرب، والإصلاح بين الناس. وحديث الرجل لامرأته، وحديث المرأة لزوجها.

***

عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ:

● **«أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر»** (البخارى ومسلم)

« اليمين الغموس »

فالحَلِف بالله تعالى أو بصفة من صفاته، أمر مشروع، ولا ينعقد أى يمين بغير اسم من أسمائه تعالى أو بصفة من صفاته كالقول: والله، وبالله، وتالله (لفظ الجلالة)، والذى نفسى بيده أو أقسمت بالله أو أحلف بالله أو أعزم بالله أو مقلب القلوب.. وغير ذلك.

ويحرم الحَلِف بغير الله، فمن حَلِف بغير الله، يستغفر الله ويتوب إليه، ويندم على ما فرط فى جنب الله، ولا كفار عليه. قال رسول الله ﷺ **«من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»**

ولا ينعقد يمين يسبق بها اللسان إلى مالم يقصر.. أى يسبق اللسان العقل والتفكير.. وهو اليمين اللغو، فلا إثم فيه ولا كفارة.

● أما **اليمين المنعقدة:**

ففيها القصد، وتحقيق المحلوف عليه ـ بخلاف اللغو ـ وينعقد هذا اليمين بذكر اسم الله ـ كما ذكرنا ـ ولها كفارة إذا حنث فيها ـ يقول تعالى **﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾** (المائدة: ٨٩).

وكفارة اليمين، إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة فإن عجز ولم يستطع أن يفعل واحدا منها فيصوم ثلاثة أيام بعد العجز وليس مخيرا فى الصيام. وللإطعام والكسوة يشترط فيها أمور.

يقول الله تعالى: **﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾** (المائدة: ٨٩).

● وأما **اليمين الغموس:**

هو الحَلِف بالله كذبا متعمدًا.. ويترتب على ذلك قطع حق أو إيذاء أو إدانه فيُصَبِحُ البرىء متهما أو المتهم بريئا، وهذا اليمين كبيرة من الكبائر

تغمس صاحبها فى الإثم ثم تغمسه فى النار.

وليس فيها كفارة.. ولكن على الحالف أن يتوب ويتقرب إلى الله تعالى بما يقدر عليه من صيام أو صدقة ليغفر الله له.

****

ويثب لمن سأله أحد وأقسم عليه، أن يبر قسمه فيجيب طلبه إذا لم يكن هناك مانع شرعى، فإذا لم يجبه حنث «الحالف» وعليه كفارة ولا شىء على الآخر.

وفى ذلك تفضيل المذاهب [1].

(١) ارجع إلى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة الجزء الثانى - لعبد الرحمن الجُزَيْرى - طبعة بيروت ١٩٩٦. من صـ ٦١ إلى صـ ١٤٠.

«الربا»

رأيت لزاما علىّ أن أتطرق إلى هذا الموضوع، لما فيه من الخلق السيئ الذى لا يليق بالمسلم.. لما فيه من ضرر كبير على المجتمع المسلم.. لأن التعامل بالربا، يخلق البغضاء والحقد، والحسد والشحناء بين المتعاملين.. فيحقد المعسر على الموسر.. والفقير على الغنى.. والحقد والحسد والشحناء والبغضاء، صفات كلها ليست من خلق المسلم.

ولذلك "فالربا" من البيوع الفاسدة المنهى عنها نهيا مغلظا.

والربا: معناه الزيادة. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ (الحج: ٥).

وبالمعنى الفقهى: زيادة لا يقابلها عوض.

فهذا كتاب الله تعالى قد حرم الربا تحريما شديدا، وزجر عليه زجرًا تقشعر له أبدان الذين يؤمنون بربهم، ويخافون عقابه.. وأى زجر أشد من أن يجعل الله المرابين خارجين عليه.. إذا كان محاربا لربه.. القادر.. القاهر الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء..

وعندما يحرّم الإسلام حراما، أو يحلل حلالا، إنما ذلك لخير البشر.. ولقد حرم الله تعالى الربا على المسلمين بل وعلى غيرهم من الأمم السابقة.. فقد نهى عنه اليهود والنصارى لما فيه إرهاق المضطرين والقضاء على عوامل الرفق بالإنسان، ونزع روح التعاون والرحمة.. فلا يصح للإنسان المسلم أن يكون ماديا، ليس فيه عاطفة خير بأخيه فى البشرية، فيستغل فرص احتياجه ويوقعه فى شَرك الربا..

وقد أوصى الله الأغنياء بالفقراء فى مواطن كثيرة فى القرآن الكريم.. وشرع القرضَ الحسنِ (بدون زيادة) لإغاثة الملهوف وهذه من

الأخلاق الكريمة للفرد المسلم (١).

● قال تعالى: ﴿وأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٥ ـ ٢٧٩)

● وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٠)

وقد ذكر اللهُ القرضَ الحَسَنَ فى مواطن كثيرة:

● فقال: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٥)

● وقال رب العزة: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ١٢).

وقال تعالى فى سورة الحديد:

● ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١١).

(١) كتاب الفقه للأستاذ عبد الرحمن الجزيرى جـ ٢ (٢) «قرضًا حسنا» الصدقات فإن الله يجازى على ذلك أحسن الجزاء. فالصدقات حق للفقراء من الأغنياء.

● ثم قال: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١٨).

● ويقول تعالى ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (التغابن: ١٧، ١٨).

● ويقول تبارك وتعالى فى آخر سورة المزمل:

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ (١) وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل: ٢٠).

وأختم كلامى بقوله تعالى:

● ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨١).

---

(١) منه: أى قوموا من الليل ما تيسر. وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال فى سورة الإسراء (ولا تجهر بصلاتك) أى: بقراءتك. (ابن كثير).

المبحث الرابع

الصبر

فى آيات القرآن الكريم

الصبر على الطاعة

الصبر عن المعاصى

والصبر على النوازل (المصائب)

الصبر هو احتمال المكاره ومواجهة المصاعب بقلب مطمئن بالإيمان، فمن لا صبر له لا إيمان له.

والصبر الجميل هو الذى لا شكوى منه ولا قلق ولا جزع، وهو عدة المؤمنين ومعينا على حصول الثواب من الرحمن الرحيم.

١ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاة إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣)

قدم الله تعالى الصبر على الصلاة مع أن الصلاة عماد الدين يجيب عن ذلك رسول الله ﷺ بقوله:

«الصلاة نور، والصبر ضياء»

٢ - قال تعالى:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣)

ولمن صبر: فلم ينتصر فإن الصبر والمغفرة للمسىء لَمِنَ الأمور العظيمة عند الله سبحانه (وهى مطلوبة شرعا).

٣ ـ قال تعالى:

﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ[1]﴾ (الرعد: ٢٣، ٢٤)

٤ ـ قال تعالى:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (النحل: ١٢٦)

نزلت لمّا قتل حمزه ومُثِّل به فقال رسول الله ﷺ:

«لأمثلن بسبعين منهم مكانك.»

٥ ـ قال تعالى:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (هود: ١١)

إلا : لكن صبروا على الضراء. عملوا الصالحات فى النعماء

٦ ـ قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٢)

والذين صبروا : أى أن أصحاب العقول هم الذين صبروا على الطاعة والبلاء.

يدرءون : يدفعون الأذى بالصبر

٧ ـ وقال تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: ١١٠)

---

(١) الدار: الجنة.

- فتنوا : عذبوا وتلفظوا بالكفر
- صبروا : (على الطاعة)
- من بعدها : (أى من بعد الفتنة
- رحيم : (بهم)

٨ ـ قال تعالى:

بعد أن بين الله عزّ وجلّ صفات عباد الرحمن قال:

﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (الفرقان: ٧٥)

- الغرفة : الدرجة العليا فى الجنة
- صبروا : (أى على طاعة الله)
- يُلقون فيها : أى فى الغرفة
- تحية وسلاما : أى من الملائكة

قال تعالى:

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (القصص: ٥٣، ٥٤)

- يتلى عليهم: أى القرآن ومن قبل كانوا يؤمنون بالتوراة
- قبله: أى قبل القرآن
- مرتين: مرة بإيمانهم بكتاب موسى ومرة بالقرآن الكريم.

نزلت فى جماعة أسلموا من اليهود مثل عبدالله بن سلام، ونصارى الشام، والحبشة الذين قدموا على الرسول مؤمنين به.

١٠ ـ وقال تعالى:

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (فصلت: ٣٤، ٣٥)

- بالتى هى أحسن : يعنى الصبرُ
- وما يلقاها : أى يؤتى الخصلة التى هى أحسن.

١١ ـ قال تعالى:

﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾ (الإنسان: ١٢)

١٢ ـ قال تعالى:

﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ (آل عمران: ١٢٥)

- يأتوكم : أى المشركون
- فورهم: وقتهم
- مسومين : أى معلمين على خيل عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم

١٣ ـ قال تعالى:

﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (لقمان: ١٧)

- واصبر على ما أصابك : من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
- عزم الأمور : أى الأمور التى تحتاج إلى عزيمة قوية

١٤ ـ قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٠)

- قالوا ربنا أفرغ : أى قال طالوت وجنوده ربنا صب علينا صبرا
- ثبت أقدامنا : قوى قلوبنا على الجهاد

١٥ ـ وقال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر)

- والعصر : يقسم الله عز وجل بصلاة العصر أو بالدهر
- لفى خسر : أى فى تجارته
- بالحق : أى الإيمان
- بالصبر : أى على الطاعة وعن المعصية.

١٦ ـ قال تعالى:

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لأُولِي الأَلْبَابِ ۝٤٣ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤٢، ٤٤)

- ضغثا : يعنى حزمة من حشيش
- لا تحنث : فى اليمين لأنه أقسم على زوجه بضربها
- صابرا : على ألم المرض

نعم العبد : أى أيوب الذى مَنَّ الله تعالى عليه بالشفاء عندما اغتسل بالماء البارد وذهب عنه الداء.

١٧ ـ وقال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥)

- الخوف : من العدو
- الجوع : القحط
- الأنفس : بالمرض والموت
- وبشر الصابرين : أى ليس لهم جزاء صبرهم إلا الجنة . وما أدراك ما الجنة.

فبالصبر عاش الأنبياء جميعا والصالحون، وأصحاب رسول الله ﷺ، وعاش به الدعاة إلى الله على مر العصور، فنزلت عليهم الرحمات والبركات والتحيات، فحق لهم أن تكلمهم الملائكة عند الموت.

يحدثنا التاريخ والمؤرخون الإسلاميون، عندما حضرت الوفاة للخليفة الخامس «عمر بن عبد العزيز».. حدثته الملائكة وكان يرد عليها وليس عنده أحد فقالت زوجه وقد سمعت ما دار: من يصدقنى؟!!.. قالت وصيفتها: أنا ياسيدتى أصدقك.

وحديثا، وليس ذلك ببعيد.. عندما حضرت الوفاة لإمام الدعاة محمد متولى الشعراوى امتنع تماما عن تناول الغذاء، فأراد أحد المريدين المقربين إليه أن يطعمه فبادره قائلا: «اتركنى، أنا مع ربى» بمَعنَى أنا مع ملائكة ربى.

وصدق الله العظيم:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٢ ـ ٢٤)

● وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)

● وقال تعالى فى سورة محمد آية رقم ٣١ .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾

وهناك من الآيات الكريمة الكثيرة التى تحض على الصبر وتبين منازل الصابرين فى الدنيا والآخرة، وكيف هزمت قلة مؤمنة صابرة، كثرة كافرة... بالصبر والإيمان، فانتشرت بهما كلمة التوحيد شرقا وغربا .

مع أحاديث رسول الله صلى عليه وسلم
فى الصبر

● مع جوامع الكلم..

من رسول الله ﷺ

الحديث الأول

«الصلاة نور، والصبر ضياء»

- والضياء أصل الأنوار ولهذا قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ (يونس: ٥)

٢ - عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

«ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده، وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»

● وما عليه خطيئة : يعنى بسبب الصبر.

٣ - سئل رسول الله ﷺ:

أى الناس أشد بلاء؟

قال:

«الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. يبتلى الناس على قدر دينهم. فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى على الأرض ما عليه خطيئة»

● ما عليه خطيئة : يسبب البلاء والصبر عليه.

٤ - من الغرائب أن بعض الناس فهم أن الإسلام يمجد الآلام لذاتها، وهذا خطأ بعيد.

فتعال معى ننظر إلى هدى المصطفى ﷺ حيث يقول فى الحديث.

عن ابن عباس أن أخت عقبة نذرت الحج ماشية وذكر عقبة لرسول الله ﷺ أنها لا تطيق ذلك فقال:

«إن الله عَنْ مَشْى أختك لغنى، فلتركب ولتهدى بدنة»

- تهدى بدنة : كفارة لنذرها.

● عن عطاء بن رباح قال:

٥ - قال ابن عباس: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟

قلت: بلى.

قال: هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ

فقالت: يارسول الله إنى أَصْرَع، وإنى أتكشف فادع الله لى.

● قال رسول الله ﷺ:

«إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك.

فقالت: أَصْبِر، ولكن ادع لى يارسول الله الا أتكشف. فدعا لها»

* * *

٦ - قال رسول الله ﷺ

«حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»

فالصبر على المكاره والبعد عن الشهوات لا يتأتى إلا لصبور.

٧ - عن صهيب بن سنان عن رسول الله ﷺ قال:

«عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كلهُ لهُ خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»

● سراء : ما يسر

● ضراء : ما يضر

* * *

٨ ـ عن أنس رضي الله عنه قال:

لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه الكرب.

فقالت فاطمة رضي الله عنها:

ـ واكرب أبتاه

فقال: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»

فلما مات النبى ﷺ قالت:

● يا أبتاه، أجاب رَبًا دعاه

● يا أبتاه، جنة الفردوس مأواه

يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه

فلما دفن ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها:

أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟ «البخارى»

● ثقل : من شدة المرض

● يتغشاه الكرب : نزل به الشدة بسبب سكرات الموت.

● تحثوا التراب : تلقوا التراب.

***

٩ ـ وعن أسامة بن زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ وحِبِّه وابن حِبِّه رضى الله عنهما قال:

أرسلت بنتُ النبى ﷺ: إن ابنى قد احتضر فاشهدنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول:

«إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلُّ شىء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب.»

فأرسلت إليه تقسم عليه ليَأْتِيَنَّهَا، فقام ومعه، سعدُ بن عبادة ومعاذ ابن جبل، ورجال آخرون.

فرُفع إلى رسول الله الصَّبىُّ، فأقعده فى حجره، ونفسهُ تقعقعُ، ففاضت عيناه. فقال سعد:

يا رسول الله ما هذا؟

قال ﷺ:

«هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»

وفى رواية:

«فى قلوب من شاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»

ـ تَقَعْقَعُ : تضطرب.

* * *

١٠ ـ من حديث طويل عن صهيب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«كان مَلِكٌ فيمن قبلكم، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السِّكَكِ، فَخُدَّت وأضرم فيها النيران وقال:

من لم يرجع عن دينه فأقْحِمُوه أو قيل له:

اقتحم، ففعلوا، حتى جاءت امرأةٌ، ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام:

- **يا أماه، اصبرى فإنك على الحق»** (رواه مسلم)
- أفواه السُكك : أبواب الطرق
- الأخدود : شق بالأرض
- أضرم : أوقد
- تقاعست : توقفت وجبنت.

* * *

١١ ـ عن أنس رضي الله عنه

مر النبى ﷺ بامرأة تبكى عند قبر فقال:

«**اتقى الله واصبرى**»

فقالت: إليك عنى، فإنك لم تصب بمصيبتى! ولم تعرفه ﷺ

فقيل لها: إنه النبى ﷺ

فأتت باب النبى، فلم تجد عنده بوابين، فقالت:

ـ لم أعرفك.. فقال النبى ﷺ:

«**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»

* * *

١٢ ـ عن أنس رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**إن الله عزّ وجلّ قال: إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبرَ عوضته عنهما الجنة**» البخارى

حبيبتيه : عينيه

* * *

١٣ ـ وعن عبد الله بن مسعود قال:

دخلت على النبى ﷺ وهو يُوعك فقلت:

يا رسول الله إنك تُوعك وعكا شديدا.

قال: «**أجل إنى أُوعك كما يُوعك رجلان منكم**»

قلت: ذلك أن لك أجرين؟

قال ﷺ:

«**أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذىً، شوكةً فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، وحطت عنه ذنوبه كما تحت الشجرة ورقها**» (متفق عليه)

ـ الوعك: ألم الحمى أو حرارتها.

* * *

١٤ ـ عن أنس رضي الله عنه

قال رسول الله ﷺ:

«**لا يتمنَّيَن أحدُكم الموتَ لِضُرٍّ أصابه فإن كان لابد فاعلا فليقل:**

«اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى، وتوفنى ما كانت الوفاةُ خيرًا لى»

* * *

١٥ ـ عن خباب بن الأَرَتِّ قال:

ـ شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا:

ألا تستنصرُ لنا؟، ألا تدعو لنا؟

فقال:

«**قد كان مَنْ قَبْلَكمْ يُؤخذ الرجلُ فيحفرُ له فى الأرض فيجعلُ فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضعُ على رأسه فيجعَلُ نصفين، ويمشطُ بأمشاط الحديد**

ما دون لحمه وعظمه، ما يصُدُّه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخافُ إلا الله والذئبَ على غنمه ولكنكم تستعجلون» (البخارى)

- يصده : يمنعه
- ليتمن الله هذا الأمر : يعنى أن الإسلام سيعم البلدان.

* * *

١٦ ـ لما كان يوم حنين، قسم رسول الله ﷺ الغنائم، فأعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم فى القسمة. فقال رجل:

«هذه قسمةُ ما عُدِل فيها»

فأخبر ابن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ بذلك. فقال رسول الله ﷺ:

«فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر»

- يوم حنين: معركة بين المسلمين والمشركين وهى موضع بين مكة والطائف.

* * *

١٧ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا أراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة»

وقال النبى ﷺ

«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرضى، ومن سخط فله السُّخْطُ.» (رواه الترمذى)

* * *

١٨ ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال:

«**ليس الشديدُ بالصُّرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب.**» (متفق عليه)

* * *

١٩ ـ عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال:

«**من كَظَمَ غيظا وهو قادرٌ على أن يُنَفِّذَهُ، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتى يُخيرَه من الحورِ العينِ ما شاء.**» (أبو داود والترمذى)

ـ الحور : شديدات سواد العيون وبياضها.

ـ العين : ضخام العيون.

* * *

٢٠ ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ:

أوصنى، قال ﷺ:

«**لا تغضب**» وردد مرارا والرسول يقول: «**لا تغضب**» (الترمذى)

٢١ ـ وعن أُسيْدِ بن حُضَير أن رجلا من الأنصار قال:

ـ يا رسول الله ألا تستعملنى كما استعملت فلانا؟.

فقال ﷺ:

«**إنكم ستَلْقَوْنَ بعدى أثَرَةً، فاصبروا حتى تَلْقَوْنى على الحوض**» (متفق عليه)

ـ الحوض : أى الحوض المورود الذى خص الله به نبيه فى جنة عدن.

* * *

الصبر
فى
الأحاديث القدسية

الصبر فى الأحاديث القدسية

الصبر من أكبر الفضائل وأعظمها، والصابرون لهم الثواب العظيم والأجر الكبير فى الدنيا والآخرة.

وكما كان الصبرُ أنواعا كثيرة كما أشرت سابقا فقد ذكرته فى أبواب مع عدم تكرار الحديث ذا المعنى الواحد.

الصبر على عموم البلاء:

قال الطبرانى:

عن أبى هند الرازى قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

١ ـ «**قال الله تبارك وتعالى: من لم يرض بقضائى ويصبر على بلائى، فليلتمس ربا سواى**»

وقال الله تعالى:

«**إنى أنا الله، لا إله إلا أنا. من لم يصبر على بلائى، ولم يرض بقضائى، ولم يشكر نعمائى، فليتخذ ربا سواى**» (الشوكانى فى المختصر)

عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ:

٢ ـ «**إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء فى جسده قال الله عزّ وجلّ:**

للملك الموكل به

اكتب له صالح عمله الذى كان يعملهُ، فإن شفاهُ الله غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه» (أخرجه أحمد)

* * *

من مات له ولد:

عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال:

٣ ـ «**إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته:**

ـ قبضتم ولدَ عبدى؟

فيقولون: نعم

ـ فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده؟

فيقولون : نعم

ـ فيقول : ماذا قال عبدى؟

ـ فيقولون : حَمَدَك واسترجع، فيقول الله عزّ وجلّ : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد»

ـ استرجع : يعنى قال العبد : إنا لله وإنا إليه راجعون.

٤ ـ من مات له صديق أو حبيب:

عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

«**يقول الله تعالى : ما لعبدى المؤمن عندى جزاءُ إذا قبضتُ صفيَّهُ من أهل الدنيا ثم احتسَبهُ إلا الجنةُ**» (أخرجه البخارى)

ـ احتسبه: يعنى صبر طلبا للثواب.

ـ صَفِيهُ : أى صديقه أو حبيبه المختار.

* * *

الصبر على فقد العينين والمرض:

٥ ـ عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال:

«**إن الله تعالى قال:**

إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر، عوضته عنهما الجنة» (البخارى)

حبيبتيه : عينيه.

* * *

٦ ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال:

قال النبى ﷺ:

«**قال الله تعالى:**

إذا ابتليت عبدى المؤمن، ولم يَشْكنى إلى عُوَّادِه أطلقته من إسارى، ثم أبدلته لحما خيرًا من لحمه، ودما خيرًا من دمه، ثم يستأنف العمل»

ـ عواده : زواره

ـ يستأنف العمل : استأنفت الشىء إذا ابتدأته.

٧ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال:

«**إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض، قيل للملك الموكل به:**

اكتب له مثل عمله إذا كان طليقاً، حتى أطلقه أو أكفته إلىّ»

ـ أكفته : أقبضه

٨ ـ عن عبد الله بن عمرو قال:

قال رسول الله ﷺ:

«إذا اشتكى العبدُ المسلم، أمَرَ الله تبارك وتعالى الذين يكتبون عمله فقال:

ـ أكتبوا عمله إذا كان طليقا حتى أقبضه أو أطلقه» (أخرجه البزار)

اشتكى : يعنى من المرض

● من صبر على البلاء وحمد الله:

٩ ـ عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال:

«إن الله عزّ وجلّ يقول لملائكته: انطلقوا إلى عبدى فصبوا البلاء صبا. فيأتونه، فيصبون عليه البلاء صبا، فيحمد الله

فيرجعون، فيقولون:

يارب، إنا صببنا عليه البلاء صبا كما أمرتنا فيقول:

ـ ارجعوا فإنى أحب أن أسمع صوته»

المبحث الخامس

البذل والكرم والجود والسخاء

مقدمة:

الإسلام دين البذل والعطاء، والسخاء، والكرم.

فعندما وصل رسول الإسلام ﷺ المدينة المنورة، آخى بين المهاجرين والأنصار، فكان البذل والسخاء من الأنصار كما قال الله تعالى فى سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)

فبالجود تقوى أواصر المحبة بين الناس.

وبالبخل يسود البغضاء والحقد والحسد.

الكريم قريب من الله محبوب من الناس، كما فى حديث المصطفى ﷺ:

«السخى قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار»

حديث نبوى شريف تقشعر منه الأبدان، وترتعد منه الأفئدة وتذوب منه القلوب.

فيا كانز المال.. حتما ستتركه، يرثه غيرك كما فى حديث رسول الله ﷺ:

«يقول العبد: مالى، مالى، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأقنى، وما سوى ذلك ذاهب وتاركه للناس.» «مسلم»

أقنى: يعنى مَلَّكَهُ

والصدقات والبذل تربى الأموال ولا تنقص:

«ما نقص مال من صدقة»

فالجود ضياء فى الوجه، ونور فى القبر، ورحمة يغسل الذنوب ويمسح الخطايا.

فالكريم هو الرابح، والبخيل هو الخاسر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

البذل والجود والكرم والسخاء
في «القرآن الكريم»

١ ـ قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤)

٢ ـ وقال تعالى:

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ (محمد: ٣٨)

٣ ـ وقال تعالى:

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٠)

خزائن رحمة ربى : من الرزق

ـ لأمسكتم : لبخلتم

ـ قَتُورًا : بخيلا.

٤ ـ وقال تعالى:

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٧١)

صدقات النوافل : الأفضل إخفاؤها

أما صدقة الفرض : الأفضل إظهارها.

ـ خبير : بالباطن والظاهر.

٦ ـ وقد يلجأ الشيطان إلى التخويف من الفقر ويأمر بالبخل ومنع الزكاة

قال تعالى:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨)

- يعدكم : يعنى يخوفكم فتمسكوا.

- يأمركم بالفحشاء : اقتراف الآثام

- فضلا : رزقا خلفا لما أنفقتم

- واسع : فى فضله

* * *

٧ - والله يعد الذى ينفق ماله فى سبيل الله عن طيب نفس أن يضاعف أجره أضعافا كثيرة.

فقال تعالى:

﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٥)

- يقبض : يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاءً

- يبسط : يوسع الرزق لمن يشاء امتحانا.

٨ - الذين يأمرون الناس بالبخل يتوعدهم الله تعالى، بقوله:

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحديد: ٢٤)

- يتولّ : عما يجب عليه - الحميد : لأوليائه.

- الغنى : عن غيره

٩ - وقال فى سورة البقرة:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٦١)

واسع : بفضله ـ عليم : بمن يستحق المضاعفة.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٦٢)

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣)

ـ أذى : بالمن

ـ والله غنى : عن صدقة عباده

ـ حليم : بتأخير العقوبة عن المان والمؤذى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٦٤)

رئاء الناس : مرائيا لهم. ـ وابل : مطر شديد

ـ صفوان : حجر أملس. ـ صلدا : أملس لا شىء عليه

ـ لا يقدرون على شىء مما كسبوا : لا يجدون له ثوابا فى الآخرة كما لا يوجد على الحجر شىء من التراب إذا نزل عليه المطر

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٥)

ـ طَلٌّ: مطر خفيف والمراد تثمر سواء كثر المطر أو قل وكذلك الصدقات كثرت أم قلت

١٠ - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩)

العفو: أى الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه.

١١ - وقال تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣ ، ١٣٤)

- السراء: اليسر.

- الضراء: العسر.

١٢ - وقال تعالى:

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٨٠)

- يبخلون: أى يبخلون بإخراج الزكاة

- هو: أى البخل

- ما بخلوا به: أى بزكاة المال

- يوم القيامة: أى يجعله الله حيةً فى عنقه تنهشه.

١٣ - وقال تعالى متواعد الذين يكنزون أموالهم بالعذاب الشديد:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤ ، ٣٥)

١٤ ـ وقال تعالى مبشرا المؤمنين الذى ينفقون أموالهم قربة إلى الله تعالى:

﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ٩٩)

ـ ما ينفق: فى سبيل الله

ـ قربان: تقربه

ـ صلوات الرسول: دعواته

١٥ ـ ويقول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (النساء: ٣٧)

ـ ما آتاهم الله من فضله: من المال

ـ مهينا: ذا مهانة.

١٧ ـ وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)

ـ الدار: المدينة المنورة

ـ الإيمان: يعنى الأنصار

ـ حاجة: حسدًا

ـ مما أوتوا: أى أعطى النبى (ص) المهاجرين من أموال بنى النضير المختصة به.

- خصاصة: حاجة

- يوق شح نفسه: حرصها على المال.

١٨ - قال تعالى:

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ (القلم :١٧ - ٢٦)

- إنا بلوناهم: امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع

- الجنة: البستان

- ليصرمنها: يقطعون ثمرتها

- مصبحين: صباحا حتى لا يشعر بهم المساكينُ فلا يعطونهم ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

- لا يستثنون: أى وشأنهم ذلك.

- طائف من ربك: نار أحرقتها ليلا

- كالصريم: سوداء من الاحتراق.

- اغدوا على حرثكم: غلتكم

- صارمين: مريدين القطع

- غدو على حَرْد: منع الفقراء

- قادرين: عليه فى ظنهم

- قالوا إنا لضالون: أى ليست هذه جنتنا عندما رأوها سوداء محترقة

* * *

١٩ ـ ويقول الله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٨ ، ٩)

٢٠ ـ وقال تعالى:

﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝١٧ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الفجر: ١٧ ، ١٨)

ـ طعام: يعنى إطعام

٢١ ـ وقال تعالى:

﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٦ ـ ٨)

ـ لربه لكنود: جاحد لأنعم ربه

ـ وإنه: لهذا الجحود، لشهيد على نفسه

ـ الخير: المال.

ـ لشديد: شديد البخل به.

* * *

«المبحث الخامس»

الجود والسخاء فى أحاديث رسول الله ﷺ

الحديث الأول:

قال رسول الله (ﷺ):

«يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضلَ خيرٌ لك، وإن تُمْسكه شرٌ لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى» «مسلم»

- الفضل: الزائد من المال

الحديث الثانى:

وفى الحديث:

«السخى قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار ولجاهل سخىٌ أحب إلى الله من عابد بخيل» «الترمذى»

الحديث الثالث:

وبين رسول الله ﷺ أن العطاء والكرم خير من البخل فقال: **«يقول العبد، مالى مالى، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس.»** «مسلم»

- أقنى: يعنى مَلَكَ.

* * *

الحديث الرابع:

وعن عدى بن حاتم أن رسول الله (ﷺ) قال:

«اتقوا النار ولو بشق تمرة.» «متفق عليه»

* * *

الحديث الخامس:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ):

«**ما من يوم يصبحُ العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان، فيقولان أحدهما: اللهم أعْطِ منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا**» «متفق عليه»

* * *

الحديث السادس:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله (ﷺ):

أى الإسلام خيرٌ؟

قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» «متفق عليه»

* * *

الحديث السابع:

عن أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال:

«**ما نَقَصَت صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عِزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله عزَّ وجلَّ.**» «مسلم»

* * *

الحديث الثامن:

جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال:

يا رسول الله، أى الصدقة أعظم أجرا؟ قال:

«**أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى...**» «البخارى»

* * *

الحديث التاسع:

وفى الطبرى، قال رسول الله (ﷺ):

«صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وصدقة السرٌّ تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد فى العمر»

* * *

الحديث العاشر:

وقال رسول الله (ﷺ): **«حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع.»** «أبو داود»

* * *

الحديث الحادى عشر:

عن عمرَ بن سعدٍ الأنصارى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: **«ثلاثةٌ أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه: ما نَقَصَ مالٌ عبد من صدقة، ولا ظُلم عبدٌ مَظْلَمةً صبرَ عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتح الله عليه باب فقر. وأحدثكم حديثا فاحفظوه: قال: إنما الدنيا لأربعة نفر:**

*** عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقى فيه رَبَّه، ويصلُ فيه رَحِمَهُ، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل.**

*** وعبد رزقه الله علما، ولم يرزقه مالا، فهو صادقُ النية يقول: لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء.**

*** وعبدٍ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علما فهو يخْبطُ فى ماله بغير علم، لا يتقى فيه ربَّه، ولا يصل فيه رَحَمهُ، ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأبخث المنازل.**

*** وعبدٍ لم يرزقه الله مالا ولا علما. فهو يقول: «لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو ونيته، فوزرهما سواءٌ.»** «الترمزى»

- المظلمة: الحق الذى تطلبه من الظالم.

- يخبط فى ماله: ينفقه أو يعطيه على غير بصيرة.

* * *

الحديث الثانى عشر:

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبى (ص):

«ما بقى منها؟»

قالت: ما بقىَ منها إلا كَتِفُها.

قال ﷺ:

«بَقِيَ كلُّها غيرَ كَتِفِها.» «الترمذى»

- بقى كلها: المقصود بقيت لنا فى الآخرة إلا كتفها.

* * *

الحديث الثالث عشر:

وعن أبى هريرة قال: قال: رسول الله (ص):

«مَنْ تصدق بِعَدْلِ تمرةٍ من كسْبٍ طيبٍ،

ولا يقبل الله إلا الطيب -، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلُوَّه حتى تكون مثل الجبل» «متفق عليه»

الفِلُوُّ: (بفتح الفاء أو كسرها): أى المُهْر.

* * *

الحديث الرابع عشر:

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى (ﷺ) قال:

«بينما يمشى رجلٌ بفَلاةٍ من الأرض، فسمع صوتا فى سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحابُ، فأفرغ ماءه فى حَرَّةٍ، فإذا شَرْجَةٌ من تلك الشِّراج قد استوعبت ذلك الماء كلَّه، فتتبع الماء، فإذا رجلٌ قائمٌ فى حديقته يحول الماء بمِسْحَاته،

فقال له:

يا عبد الله ما اسمك؟. قال: فلان، للاسم الذى سَمع فى السحابة، فقال له:

- يا عبد الله لِمَ تسألنى عن اسمى؟

فقال:

إنى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه

يقول:

اسْقِ حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟

فقال:

«أما إذا قلت هذا، فإنى أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالى ثلثا، وأرد فيها ثلثا.» «مسلم»

- الحَرَّة: الأرض ذات الحجارة السوداء

- الشَّرْجة: (فتح الشين وإسكان الراء): هى سيل الماء.

* * *

الحديث الخامس عشر:

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

جاء رجل إلى النبى (ﷺ) فقال: إنى مجهود فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى، فقالت، مثل ذلك. حتى قلن كلهن، مثل ذلك.

فقال رسول الله (ﷺ):

«من يُضَيِّف هذا الليلة؟»

فقام رجل من الأنصار:

أنا يا رسول الله.

فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته:

أكرمى ضيف رسول الله.

فقالت: ما عندنا إلا قوت صبيانى

قال: نومِّيهم، وإذا دخل ضيفنا، فأطفئى السراج، وأريه أنَّا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف، وباتا طاويين، فلما أصبح، غدا على النبى (ﷺ) فقال:

«لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة» «متفق عليه»

- إنى مجهود: أصابنى الجهد.

- طاويين: جائعين.

* * *

الحديث السادس عشر:

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارقهم.»
«رواه مسلم»

* * *

الحديث السابع عشر:

وعن جابر عن النبى ﷺ قال:

«طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعة وطعام الأربعة يكفى الثمانية» «مسلم»

* * *

الحديث الثامن عشر:

عن عبد الله بن مسعود قال:

انطلقت زوجتى (زينب الثقفية) ومعها امرأة من الأنصار، إلى رسول الله (ﷺ) فخرج عليهما بلال فقالت زينب:

- ائت رسول الله (ﷺ) فأخبره أن امرأتين بالباب يسألانك:

- أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما؟ ولا تخبره من نحن.

قالت: فدخل بلال على رسول الله فسأله: فقال رسول الله (ﷺ): «**من هما؟**» فقال بلال: امرأة من الأنصار وزينب قال: امرأة عبد الله بن مسعود.

فقال:

«لهما أجر القرابة وأجر الصدقة»

وقال رسول الله ﷺ:

«الصدقة على المسكين صدقة وعلى القريب صدقتان، صدقة وصلة.» «الترمذى»

* * *

الحديث التاسع عشر:

قال النبى ﷺ:

«دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على أهلك. أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك» «مسلم»

الحديث العشرون:

قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»

* * *

الجود والسخاء فى الأحاديث القدسية

« الحديث الأول »:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال الله تعالى: انفق يا ابن آدم أُنْفِق عليك» «متفق عليه»

« الحديث الثانى »:

قال أبو هريرة: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله عز وجل يقول: يا ابن آدم إن تُعْطِ الفضل فهو خير لك، وإن تُمسِكه فهو شرٌّ لك، وابدأ بمن تعول، ولا يلوم الله على الكفاف، واليد العليا خير من اليد السفلى.» «أحمد»

ـ اليد العليا خير من اليد السفلى:

إن ذلك يدفع بالمسلم الغنى إلى بذل الفضل والفقير إلى القناعة والتعفف بكراهية السؤال.

« الحديث الثالث »:

عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال:

«لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال قالوا.

ـ يا رب هل من خلقك شىء أشد من الجبال؟

قال: نعم. الحديد

قالوا: يا رب فهل من خلقك شىء أشد من الحديد؟

قال: نعم، النار.

فقالوا: يا رب فهل من خلقك شىء أشد من النار؟

قال: نعم، الماء.

قالوا: يا رب هل من خلقك شىء أشد من الماء؟

قال: نعم. الريح.

قالوا: يا رب هل من خلقك شىء أشد من الريح؟

قال: نعم، ابن آدم، تصدق بصدقة بيمينه يخفيها من شماله» «الترمذى»

الحديث الرابع:

من حديث أتانى ربى فى أحسن صورة:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

«أتانى ربى فى أحسن صورة ـ قال: أحسبه فى المنام ـ وقال رب العزة:

يا محمد، إذا صليت فقل:

اللهم أسألك حب الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين،

وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضنى إليك غير مفتون،

قال:

وللدرجات إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام» «الترمذى»

الحديث الخامس:

عن أنس بن مالك قال: قال النبى ﷺ:

«ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة

يقولون: ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضتها لنا عليهم.

فيقول الله تبارك وتعالى:

«وعزتى وجلالى لأُدْنِينكم ولأباعدنهم»

ثم تلى رسول الله ﷺ:

«وفى أموالهم حق للسائل والمحروم» «الطبرانى فى المعجم الصغير»

«الحديث السادس»:

قال البخارى رحمه الله:

حدثنا إسحاق عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

«يقول الله: استطعمتك فلم تطعمنى. قال:

فيقول: يارب وكيف استطعمتنى ولم أطعمك وأنت رب العالمين.

- قال: أما علمت أن عبدى فلانا استطعمك فلم تطعمه؟

أما علمت أنك لو كنت أطعمته لوجدت ذلك عندى؟

- ابن آدم: استسقيتك فلم تَسْقِنِى

فقال: يارب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين؟

- فيقول: إن عبدى فلانا استسقاك فلم تَسْقِهِ. أما علمت لو كنت سقيته لوجدت ذلك عندى؟

- يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدنى.

قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

- قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلو كنت عدْتَهُ لوجدتنى عنده» «البخارى»

* * *

وأخيرا أخا الإسلام، اعلم أن رسول الله ﷺ كان أجود الناس. وكان أجود ما يكون فى رمضان من الريح المرسلة. واعلم أنك عابر سبيل فى هذه الدنيا، كرجل استظل بشجرة ثم تركها وولى.

المبحث السادس

حصاد اللسان من الخير والشر

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)

خلق الله الجن والإنس ليشكروه وليوقروه على نعمه التى لاتحصى ولاتعد.

وعندما خلق الله الخلق، خلق فيهم العقل الذى يميز بين الحق والباطل.. بين الطيب والخبيث.. بين الظلمات والنور، وبين الهدى والضلال.

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (الحج: ٢٤)

المسلم صادق فى قوله، عفيف فى لسانه، بعيد عن كل رذيلة.

فعن معاذ بن جبل قال:

قلت يارسول الله: أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار.

قال: **«لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت».**

ثم قال:

«ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار، وصلاة الرجل فى جوف الليل» ثم تلا ﷺ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (السجدة ١٦)

ثم قال:

«ألا أخبرك برأس الأمر، وذروةِ سنامه»

قلت: بلى يارسول الله.

قال: **«رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد».**

ثم قال: **«ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟»**

قلت: بلى يارسول الله

فأخذ بلسانه (أى بلسان نفسه)

ثم قال:

«كف عليك هذا»

قلت: يانبى الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

فقال:

«ثكلتك أمك يامعاذ، وهل يَكُبُّ الناسَ فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟».

ومن هذا الحديث الشريف اخترت عنوان موضوعى.

«حصاد اللسان من الخير والشر»

فاللسان إما حلو كالعسل أو مر كالصبر، فهذا لاتسمع منه إلا خيرا، وهذا ينطق لسانه بكلمات مسمومة غير مبالٍ بما يقول، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمثل الشعبى يقول:

«لسانك حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانك».

والمثل الفرعونى القديم يقول:

«اللسان يبنى أو يهدم»

يبنى إذا نطق خيرا .

ويهدم إذا نطق شرا .

وقد حَصَرت «حصاد اللسان» فى عناصر محددة وبالله التوفيق:

- العنصر الأول: الصدق والكذب
- العنصر الثانى: شهادة الزور
- العنصر الثالث: الغيبة
- العنصر الرابع: النميمة
- العنصر الخامس: اللسان الذاكر

١ ـ تلاوة القرآن

٢ ـ نشر العلم

٣ ـ ذكر الله كثيرا والتفكر فى آياته

٤ ـ الصلاة على النبى ﷺ

٥ ـ الدعاء

٦ ـ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فاللسان هو المعبر عما يكنه القلب من إيمان أو كفر.. من طاعة أو معصية.. من حب للخير أو حب للشر، ومن نفع أو ضرر.. فالإسلام يدعو إلى الفضيلة وطهارة القلب واللسان يكفه عن كل شر من غيبة أو نميمة أو إيذاء بالكلمات.

جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله علمنى عملا

يدخلنى الجنة. قال:

إن كنت أقصرت فى الخطبة لقد أعرضت المسألة «أى أجدت فى بيانها وأحسنت فى إظهارها»

«أعتق النسمة، وفك الرقبة، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا عن الخير» رواه أحمد فى صحيحه.

وعن عبدالله بن مسعود قال:

سألت رسول الله ﷺ فقلت:

يارسول الله أى الأعمال أفضل؟ قال:

«الصلاة على ميقاتها» قلت: ثم «ماذا؟» قال:

«أن يسلم الناس من لسانك»

* * *

من الناس، من لهم شهوة جامحة بالتحدث فى أعراض الناس، وكشف معايبهم، فيتحسسون الأخطاء أو يخترعونها للناس، ظلما وعدوانا، فهؤلاء عاقبتهم وخيمة.. أما من يعف لسانه فقد قال فيه ﷺ:

«من خزن لسانه [1] ستر الله عورته ومن كف غضبه كف الله عنه عذابة ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره»

(١) من ستر عورات الناس

العنصر الأول

الصدق والكذب

فالصدق صفة جامعة لخصال الخير

والكذب صفة مذمومة بغيضة إلى النفوس

والكذب مذموم من الله والناس أجمعين

الإخلاص لله صدق

والجهاد فى سبيل الله صدق

والتوكل على الله صدق

والإنفاق فى سبيل الله صدق

والأمانة والوفاء بالعهد والحياء والصبر كل ذلك صدق

*** الصدق والكذب فى كتاب الله تعالى**

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)

إن الكذاب فاسق خارج على حدود الله.. لاتقبل شهادته.

وقال تعالى:

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)

فكل قول مكتوب لك أو عليك

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ (١) شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨)

فأداء الشهادة بالعدل صفة من صفات الإيمان وإن كانت لصالح قوم بينهم وبينه عداوة أو بغضاء فهذا هو العدل يجازى الله تعالى به.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل: ١٠٥)

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام ١٥٢)

وقال تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل: ١١٦ ، ١١٧)

يجرمنكم: يحملنكم . شنآن: بغض

حصاد الصدق والكذب
مع هدى المصطفى (ﷺ)

قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل عندما قال:

يانبى الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال **«وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم؟»**

وقال رسول الله ﷺ:

«اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة:

أصدقوا إذا حدثتم

وأوفوا إذا وعدتم

وأدوا إذا ائتمنتم

واحفظوا فروجكم

وغضوا أبصاركم

وكفوا أيديكم»

● سأل رجلُ رسولَ الله ﷺ

ماعمل الجنة يارسول الله؟

قال:

«الصدق، إذا صدق العبد بر، وإذا بر آمن، وإذا آمن دخل الجنة»

ويقول المصطفى ﷺ

«تحروا الصدق، وإن رأيتم الهلكة فيه، فإن النجاة منه، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم النجاه فيه، فإن الهلكة فيه..»

● عن عبدالله بن عامر قال:

دعتنى أمى يوما والرسول قاعد فى بيتنا

فقالت:

تعال أعطك

فقال الرسول لها:

«ماأردت أن تعطيه؟»

قالت:

أعطه تمرا!

فقال لها:

«أما أنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبه» «حديث ضعيف»

● إن الكسب عن طريق الكذب والتضليل كسب لابركة فيه يمقته الله ويمحقه.

فقال رسول الله ﷺ:

«البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما، وإذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما»

● وقال المصطفى ﷺ

«التاجر الصادق الأمين مع النبيين والصدقين والشهداء»

وعن أبى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كن فيه فهو منافق، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» (وزاد) «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»

اليمين الغموس

هى اليمين الكاذبة التى يقتطع بها الرجل مال غيره بغير حق، وهى تغمس صاحبها فى الإثم ثم تغمسه فى النار.

فعن عبدالله بن عمرو عن النبى ﷺ قال:

«أكبر الكبائر. الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»

● أما قذف المحصنات المؤمنات فالعقاب وخيم فعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال:

«اجتنبوا السبع الموبقات (المهلكات)»

قالوا:

- وماهن يارسول الله؟

قال: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»**

وعن رسول الله ﷺ قال:

«عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا.

وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا».

● وأخطر الكذب من يكذب على رسول الله ﷺ، فيضع حديثا يقول: إنه صحيح.

فعن مسلم بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول:

«يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتوكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لايضلونكم ولا يفتنونكم»

وقال ﷺ:

«من تعمد علىّ كذبا فليتبوأ مقدعه من النار»

وسيظهر فى آخر الزمان شياطين يتحدثون بقرآن وماهو بقرآن، «كما جاء فى الحديث الشريف»

ولكن هيهات فالله حافظ رسالته وقرآنه وسنة نبيه إلى يوم الدين

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)

وقال أبو جعفر الصادق:

«إياك وأن تصحب الكذاب فإنه يبعد عنك القريب ويُقرب منك البعيد»

وقال ابن المقفع:

«من عُرِفَ بالكذب، لم يصدقه أحد»

وقيل:

(الصدق ميزان الله الذى يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجور)

وقال الشاعر:

لايكذب المرؤ إلا من مهانة

أو عادة السوء أو قلة الأدب

العنصر الثانى
شهادة الزور

فشهادة الزور خطر يهدد المجتمع، فيها تؤكل أموال الناس بالباطل، ويصير البرىء متهما والمتهم بريئا، ويصبح الحق باطلا والباطل حقا ولاحول ولاقوة إلا بالله.

شهادة الزور من القرآن الكريم

قال تعالى:

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج : ٣٠)

وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: ٧٢)

● مع الأحاديث النبوية الشريفة وشهادة الزور

فعن أبى بكرة عن أبيه عن رسول الله ﷺ:

«ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟»

- قالوا: بلى يارسول الله

قال:

«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»

وكان متكئا فجلس

ثم قال:

«ألا وقول الزور» ومازال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

العنصر الثالث
الغيبـــة

لقد بين معناها رسولُ الله ﷺ لأصحابه، عندما سئل عن الغيبة، وراوى الحديث أبو هريرة فقال الرسول ﷺ:

«ذكرك أخاك بما يكره»

قلنا: يارسول الله أرأيت إن كان فيه مانقول؟

قال:

«إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته»

ومن كلام يحيى بن معاذ الرازى: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة:

- إن لم تنفعه فلا تضره
- وإن لم تفرحه فلا تغمه
- وإن لم تمدحه فلا تذمه

وقال رجل لعمر بن العزيز: (اجعل أكبر المسلمين عندك أبا، وصغيرهم ابنا، وأوسطهم أخا فأى أولئك تحب أن تسىء إليه بالغيبة؟!

• مع الغيبة والأمر بحفظ اللسان من كتاب الله

قال تعالى:

﴿ولا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢)

وقال عزَّ وجلَّ:

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١] (ق: ١٨)

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ (القصص: ٥٥)

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٣)

وقال عز من قائل:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[٢] (الهمزة: ١)

وسبب نزول هذه الآية فيمن كان يغتاب النبى ﷺ والمؤمنين كأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة

(١) حاضر

(٢) الغيبة

● مع الغيبة

من كلام المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

فعن أبى هريرة عن النبى (ﷺ):

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

وعن أبى موسى الأشعرى قال:

قلت يارسول الله: أى المسلمين أفضل؟

قال:

«من سلم المسلمون من لسانه ويده»

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ:

«من يضمن مابين لَحْيَيْه ومابين رجليه أضمن له الجنة»

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى مايُلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لايلقى لها بالا يهوى بها فى نار جهنم»**

وعن عقبة بن عامر قال:

قلت: يارسول الله ماالنجاة؟

قال: **«أمسك عليك لسانك، ولْيَسَعْك بيتك وابك على خطيئتك»**

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قلت للنبى ﷺ: حَسبُك من صفية

● مابين لحيته: يعني مابين أسنانه (لسانه)

● مابين رجليه: يعني الفرج

● لايلقي لها بالا: يعني لايهتم بها

كذا وكذا (تعنى قصرها) فقال النبى: **«لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»** (رواه أبو داود)

● عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال:

«إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان. تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت أعوججنا»

● وعن أبى هريرة أن (**ماعزا**) جاء إلى رسول الله ﷺ فقال:

يارسول الله إنى قد زنيت فأعرض عنه حتى قالها أربعا فلما كان فى الخامسة قال ﷺ: **«زنيت؟»**

قال: نعم. قال: أتيت منها حراما مايأتى الرجل من امرأته حلالا. قال ﷺ: **«ماتريد إلى هذا القول؟»**

قال: أريد أن تطهرنى

فقال رسول الله ﷺ: **«أدخلت ذلك منك فى ذلك منها كما يغيب الميل فى المكحلة والرشافى البئر؟»** قال: نعم يارسول الله.

قال: فأمر برجمه، فرجم. فسمع النبى ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذى ستر الله عليه، فلم تدعه نفسه حتى يرجم رجم الكلب؟.

ثم سار النبى ﷺ حتى مر بجيفه حمار فقال: **«أين فلان وفلان؟ انزلا، فكلا من جيفة هذا الحمار»**.

قالا: غفر الله لك يارسول الله، وهل يؤكل هذا؟ قال ﷺ: **«فما نلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه، والذى نفسى بيده إنه الآن فى أنهار الجنة ينغمس فيها»** (عن أبى يعلى إسناد صحيح)

● وعن جابر بن عبدالله قال: كنا مع النبى ﷺ

● مزجته: خالطته فيتغير طعمه وريحه لشدة نتنها وفجها وهذا من أشد الزواجر عن الغيبة.

فارتفعت ريح جيفة منتنه فقال رسول الله ﷺ:

«أتدرون ماهذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس» رواه الإمام أحمد

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب إليه لحمه فى الآخرة فيقال له: «كله ميتا كما أكلته حيا» . (أبو يعلى) .

● وذكر ابن كثير فى تفسيره لسورة الحجرات:

أن سليمان الفارسى كان مع رجلين من أصحاب النبى ﷺ فى سفر يخدمهما وينال من طعامهما، وأن سليمان لما سار الناس وبقى سليمان نائما لم يسر معهم، فجعل صاحباه يكلماه فلم يجداه، فضربا الخباء وقالا: مايريد هذا العبدشيئا غير هذا أن يجيء إلى طعام مقدور، وخباء مضروب، فلما جاء سليمان أرسلاه إلى رسول الله ﷺ يطلب إداما، فأتى رسول الله ﷺ ومعه قدح فقال: يارسول الله بعثنى أصحابى لتؤدمهم فأتيا رسول الله ﷺ وقالا: والذى بعثك بالحق ما أصبنا طعام منذ نزلنا فقال النبى ﷺ **«إنكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما** ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات: ١٢) (ابن كثير)

● وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لما عُرِجَ بى، مررت بقوم لهم أظافر من نُحاس يخمشُون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء ياجبريل؟

قال:

هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم» (رواه الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود)

إن منهج الله لم يحرم الغيبة فحسب، ولكن يحرم سماعها، وإذا سمعها يردها، فإن أعجز فارق المجلس؛ لأن الملائكة تبتعد، والشياطين

تحل، وماكان لملك فى مكان به شيطان.

فقد قال رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه أبو الدرداء:

«من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة».

وعن البراء بن عازب قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال:

«يامعشر من آمن بلسانه لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته» وفى روايه عن ابن عمر **«ولو فى جوف بيته»** (عن أبى يعلى فى مسنده)

العنصر الرابع
النميمــة

ومعناها هو نقل كلام الناس إلى الغير لغرض الإفساد فيقع بينهم البغضاء والحقد.

فقال تعالى:

﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم: ١١)

همّاز: كثير الهمز (النميمة)
مشاء: المشى بالنميمة
نميم: سارع بين الناس للإفساد

ومن أحاديث رسول الله
فى النميمة

فعن حذيفة عن النبى ﷺ:

«لايدخل الجنة نمام».

وعن ابن عباس قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال:

«إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما كان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله أو لايستبرئ من بوله».

كان النبى ﷺ يكره أن يكلمه أحد عن أصحابه.

فعن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال:

«لايُبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»

ولاشك أن النمام منافق يقول لك حلو الكلام حتى إذا تولى نالك بالسم الزعاف، قال الله فيهم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (النساء: ١٠٨)

العنصر الخامس
اللسان الذاكر

اللسان الذاكر اطمئنان للقلب، وإيمان راسخ بالله تعالى.

وهو شعبة من شعب الإيمان ـ من أربع وعشرين شعبة أوردها ابن حجر فى تصنيفه (الفتح)

فاللسان الذاكر هو

ومايعذبان فى كبير: يعنى فى زعمهم.

يستبرئ من بوله: أى يستنزه من بوله أى نزول كل بوله ولا يستعمل

(١) ذكر الله بتلاوة القرآن

فتكون القراءة بتدبر وتفهم وتفقه، تحل حلاله وتحرم حرامه، ولمعرفة معانيه ومقاصده ففى التلاوة تعظيم للقرآن بتعلمه وتعليمه وحفظ حدوده، وأحكامه.

فقال تعالى:

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ (المزمل: ٤)

وقال الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (المزمل: ٢٠)

قال النبى ﷺ: **«أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن»**

وقال المصطفى ﷺ: **«إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء»**. قيل - يارسول الله وما جلاؤها؟ قال (كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن)

وقال النبى ﷺ: **«من قرأ القرآن فاستظهره، فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته..»**

وقال النبى ﷺ: **«من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنه والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول لكم آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»**

وقال رسول الله ﷺ: **«إذا أحب أحدكم أن يحادث ربه فليقرأ القرآن»**

وقال رسول الله ﷺ: **«اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه»**

وقال النبى ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»**

قال الإمام الغزالى: تلاوة القرآن أن يشترك فيها اللسان بتصحيح الحروف والعقل بتفسير المعانى والقلب بالاتعاظ، فاللسان يرتل والعقل ينزجر والقلب يتعظ.

(٢) ذكر الله بنشر العلم

والغرض من نشر العلم تعليم الناس أمور دينهم فيعبدون الله على بصيرة فلا يكون البدع والضلالات؛ لأنه كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

فقال الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢)

وقال رسول الله ﷺ:

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)

(٣) ذكر الله كثيرا والتفكر فى آيات قدرته

من أرفع مراتب الذكر، ذكر الله تعالى. فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤١، ٤٢)

وليس بعد قراءة القرآن عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ (آل عمران: ٤١)

وقال تعالى: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)

والتفكر فى ملكوت الله وبديع صنعه، ذكر فيقول ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩١)

وأفضل أوقات الذكر ثلث الليل الأخير: فقال النبى ﷺ **«أقرب مايكون العبد من ربه فى جوف الليل الأخير»** وأفضل أحوال الذكر وأنت ساجد

- (إذا رجعو إليهم) بتعليمهم ماتعلموه من الأحكام
- (يحذرون) : عقاب الله بامتثال أمره ونهيه

فيقول النبى ﷺ: **«أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد»**

سئل النبى ﷺ: أى الأعمال أفضل؟ قال: **«أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله»**

ومجالس الذكر من أفضل المجالس عند الله فقال النبى ﷺ: **«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»** قالوا: ومارياض الجنة يارسول الله. قال: **«حِلق الذكر، فإن لله سيارات من الملائكة يطلبون حِلقَ الذكر، فإن أتوْا عليهم حفوا بهم».**

وقال ﷺ: **«مامن قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»**

وسئل ﷺ: «**أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟**»

قال: «**الذاكرون**»

وقال النبى ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليكهم، وأرفعها فى درجاتكم، وخيرلكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟»** قالوا: بلى يارسول الله

قال ﷺ: **«ذكر الله»**

وقال رسول الله ﷺ:

«سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظله يوم لاظل إلا ظله: إمام عادل. وشاب نشأ فى عبادة الله. ورجل ذكر الله فى خلوة ففاضت عيناه. ورجل قلبه معلق بالمساجد. ورجلان تحابا فى الله. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال: إنى أخاف الله.

ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماصنعت يمينه»

● عن جابر بن عبدالله قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **«ياأيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقه فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا»**

وفى الحديث القدسى:

«يقول رب العزة:

«أخرجوا من النار من ذكرنى أو خاف مقامى»

وقال الله تعالى:

«أنا جليس من ذكرنى»

وقال أيضا فى الحديث القدسى:

«أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ، ذكرته فى ملأ خير منه، وإن تقرب إلىّ ذراعا، تقربت إليه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة».

(٤) الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

من أرفع مراتب الذكر.. ذكر الله والصلاة على النبى ﷺ

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٦)

فالصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة دعاء، ومن العباد: استغفار

وهنا نريد أن نبين قضية عقائدية فى ضوء قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

إذا كان الله تعالى وملائكته يصلون على النبى فما حاجة النبى ﷺ لصلاتنا عليه؟.

يقول الدكتور أحمد شوقى ابراهيم (رئيس لجنة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة المطهره بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية) يقول من خلال دراسة علمية أن صلاتنا على النبى ﷺ ليست لحاجته هو إليها.. وإنما لحاجتنا نحن إليها، فنحن المستفيدون منها. فقد قال النبى ﷺ:

«من صلى علىّ صلاة صلى الله عليها بها عشرة»

وبين الدكتور (شوقى) أن صلاة الله عزّ وجلّ على المؤمنين رحمة وصلاة الملائكة على المؤمنين استغفار ودعاء، أما صلاة الله عزّ وجلّ على النبى لايعلمها إلا هو.

والكلام مازال للدكتور شوقى:

وعندما أمر الله نبيه بالصلاة على المؤمنين فى قوله تعالى فى سورة التوبة (١٠٣):

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وذلك لكى لايترك الله تعالى رسوله تحت منَّة أمته لصلاتهم عليه، فرد المنة عليهم وعوضهم بأمره لرسوله المصطفى بالصلاة عليهم حتى لا يكون لأحد غير الله تعالى من فضل على نبيه، فالله تعالى لايطلب منفعة لنبيه من أحد

سئل رسول الله ﷺ:

كيف يصلى الله تعالى عليك؟

فقال ﷺ:

«هذا من علم الله المكنون ولولا أنكم سألتمونى عنه ما أخبرتكم به»

عن أوس بن أوس الثقفى قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة - علىّ.

فقالوا: «يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد بليت؟. قال: **«إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».**

وعلى المسلم أن يصلى على النبى ﷺ إذا ذكر:

فعن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

«البخيل من ذُكِرْتُ عنده فلم يصل علىّ»

وقال ﷺ: **«إن لله ملائكة سيَّاحين فى الأرض يبلغونى من أمتى السلام».**

وقال النبى ﷺ: **«من صلى على محمد وقال: اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى»**

وقال المصطفى ﷺ: **«إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل علىّ ثم ادْعه».**

فضل الذكر والذاكرين

قال الله تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (الكهف: ٤٦)

والباقيات الصالحات لم تذكر إلا مرة أخرى فى قوله تعالى:

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ (١) (مريم: ٧٦)

- عن أبى الدرداء فى سنن ابن ماجه قال:

جلس رسول الله ﷺ ذات يوم فأخذ عودا يابسا ثم قال **«إن قول لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله والحمد لله تحط الخطايا كما تحط ورقَ هذه الشجرة الريحُ. خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن، هن الباقيات الصالحات، وهن من كنوز الجنة»**

قال أبو سلمة: فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديثٌ قال: لأهللن الله، ولأكبرن الله، ولأسبحن الله حتى إذا رآنى الجاهل حسب أنى مجنون

- قال ابن عباس:

«الباقيات الصالحات هن: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر» (الإمام أحمد)

- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال:

رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئى هذا ثم قال:

«من توضأ وضوئى هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ماكان بينهما وبين الصبح، ثم صلى العصر غفر له مابينها وبين الظهر، ثم صلى

(١) يعني عاقبة

المغرب غفر له مابينها وبين العصر، ثم صلى العشاء غفر له مابينها وبين المغرب ثم إذا قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفر له مابينها وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يذهبن السيئات.

قالوا: ياعثمان: «هذه الحسنات فى الباقيات الصالحات قال:

«هى لا إله إلا الله، وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله»

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر من الباقيات الصالحات»

● وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال:

«استكثروا من الباقيات الصالحات» قيل: وما هن يارسول الله؟ قال:

«التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله»

● وعن أبى أيوب الأنصارى قال: إنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول (عرج بى إلى السماء فرأيت إبراهيم عليه السلام فرحب بى ثم قال:

مُرْ أمتك فلتكثر من غِراس الجنة، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة»

قلت: وماغراس الجنة يارسول الله؟.

قال: «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»

● وعن سعد بن جنادة ـ وهو أول من أسلم من أهل الطائف قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قام من الليل فتوضأ ومضمض فاه ثم قال:

الجانب العاطفى فى الإسلام للشيخ الداعية محمد الغزالى.

«سبحان الله مائه مرة. والحمد لله مائة مرة. والله أكبر مائة مرة. ولا إله إلا الله مائه مرة غفرت ذنوبُه إلا الدماء فإنها لاتبطل»

● وعن رسول الله ﷺ قال: **«من قال: سبحان الله كتبت له عشرون حسنة»**

ومن قال: لا إله إلا الله كتبت له عشرون حسنة ومن قال: الله أكبر كتبت له عشرون حسنة ومن قال: الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة».

قال الحسن البصرى:

أحب عباد الله إلى الله أكثرهم ذكرا لله وأتقاهم قلبا، وندعوه كما دعاه نبيه ﷺ

«اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»

وقال ابن مسعود:

«ذكر الله أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر»

وقال ﷺ: **«مررت ليلة أسرى بى برجل مُغيب فى نور العرش فقلت: من هذا ياجبريل، أملك هو أم نبى؟ قال: لا. هذا رجل لسانه رطب من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد، ولم يسب والديه»**

يرى ابن عطاء الله السكندرى: «أنه لاينبغى للمرء المسلم أن ينسى ذكر ربه أو يسأم ذكره ولو كان قلبه مشغولا فذكر الله يترقى به إلى أعلى المراتب - على أن يذكر الله بقلبه ولسانه»

ويعلن على ذلك الإمام محمد الغزالى فيقول: «ذكر الله ينبغى أن يتحول إلى الأعمال العظيمة التى رسمها الشارع وناط بها كيان الفرد والجماعة».

والمسلم إذا أطاع الله ورسوله لم يحتبس داخل صومعة محدودة الأركان، وإنما صومعة المسلم هذه الأرض طولا وعرضا يملأ جنباتها بالعمل والواجبات(1).

روى عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ:

أن رجلا سأل، فقال: «أى المجاهدين أعظم أجرا؟ قال: **«أكثرهم لله ذكرا»** ثم قال: فأى الصالحين أعظم أجرا؟ قال: **«أكثرهم لله ذكرا»**. ويقول الشيخ الغزالى: «إن ذكر الله تعالى هو: إقامة أوامر الله كلها.. فى شئون الحياة كافة فالعمل عبادة وذكر، مادام لله خالصا»

(٥) الدعـــــاء

الدعاء مخ العبادة. وقالت طائفة: الدعاء هو العبادة فهو الابتهال إلى الله، والخضوع له، التذلل بين يديه.

«وليس شىء أكرم على الله من الدعا» (البخارى)

والله لايقبل دعاءً من قلب غافل لاهٍ وإذا دَعوت الله فأدب الدعاء أن يكون سرا فعن عبدالله بن عباس قال:

(كنا مع رسول الله فى سفر ويرفع الناس أصواتهم بالتكبير ويرفعون أسماعهم بالدعاء فقال: **«أيها الناس أربعوا علَى أنفسكم، إنكم لاتدعون أصما ولا غائبا، إنما تدعون سميعا بصيرا» والذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»**

والدعاء هو أن يقول العبد: يارب. يارب. يارب. فيقول رب العزة: «لبيك عبدى سل تعط».

فلا تسأل إلا الله، ولاتتوجه إلا إليه. فسؤال الله عبادة وطاعة.

ولاتسأل مخلوق فسؤاله ذلّ وإهانة.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)

(١) الجانب العاطفى فى الإسلام ـ للداعية المرحوم الشيخ محمد الغزالى.

فعن عبدالله بن عباس قال: كنت خلف رسول الله يوما فقال: **«ياغلام الا أعلمك كلمات. احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»**

وقال الله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا (١) وخُفْيَة (٢) إنه لايحب المعتدين﴾

وقال رب العزة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)

وكان النبى ﷺ يتعوذ من الدعوة التى لايستجاب لها فيقول: **«اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع ومن قلب لايخشع، ومن نفس لاتشبع ومن دعوة لايستجاب لها»**

وقال النبى ﷺ: **«إن الله يمسك الخير عن عبده ويقول: لا أعطى عبدى حتى يسألنى»**

ويقول النبى ﷺ: **«إن الله حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرا»**. رواه أحمد.

وقال ﷺ: **«من لايسأل الله يغضب عليه»**

وإذا دعوت الله فتوسل إليه بصالح الأعمال. ففي حديث رسول الله ﷺ **«عن الثلاثة نفر، آواهم المبيت إلي غار فدخلوه، فانحدرت صخرة فسدت عليهم الباب فأخذ كل منهم يتوسل إلي الله بصالح عمله:**

فقال كل منهم: **«اللهم إن كنت قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه، فانفرجت الصخرة كلها، وخرجوا جميعا»**

---

(١) تضرعا: تذللا (٢) خفية: سرًا

فمن يقبل الله منهم الدعاء؟:

• دعوة الأم:

فقال النبي ﷺ:

«**دعوة الأم أسرع إجابة**» قيل: ولِمَ ذلك يارسول الله؟!

قال المصطفي ﷺ: «**هي أرحم من الأب**».

وممن يقبل الله تعالي منهم الدعاء:

- الصائم حين يفطر
- والإمام العادل
- ودعوة المظلوم ولو كان كافرا، فروي الترمذي عن أبي هريرة أنه ﷺ قال:

«**ثلاثة لاترد دعوتُهم.. الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول:**

«**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»

- وممن يستجيب الله لهم الدعاء:

دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب

فقال النبي ﷺ:

«**ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل**» . رواه أبو داود ومسلم .

- ودعوة المسافر لاترد

* * *

● **شروط قبول الدعاء:**

● الإخلاص فى الدعاء: قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (غافر: ١٤)

ولقد ثبت فى كتب السنة أن (أبا مرصد) خرج بتجارته إلى الصحراء، فخرج عليه قاطع طريق، وأخذ متاعه وأراد قتله. فطلب منه (أبو مرصد) أن يصلى ركعتين. فقام يصلى فى خضوع وخشوع، وأخذ يستغيث الله بإخلاص، وقال:

(اللهم ياودود، ياذا العرش المجيد، يافعال لما تريد.. أسألك بعزك الذى لايرام وبملكك الذى لايضام وبنورك الذى ملأ أركان عرشك أن تخلصنى مما أنا فيه، يامغيث أغثنى.. يامغيث أغثنى.. يامغيث أغثنى)

وما أن انتهى من دعائه إذا بفارس فوق فرسه وبيده حربة فقتله.

فقال (أبو مرصد): (أستحلفك بالله من أنت؟!)

قال: (أنا ملك من السماء الأولى أرسلنى الله لك)

● **ومن شروط قبول الدعاء:**

أن يكون المالُ من حلال.. مأكله ومشربه وملبسه

من حلال. فيقول أبو هريرة عن النبى ﷺ:

«الرجل أشعث أغبر يطيل السفر يمد يديه إلى السماء، يقول يارب.. ومأكله من حرام، ومطعمه من حرام، ومشربه من حرام، وملبسه من حرام وغُذِىَ بالحرام، فأنىَّ يستجاب له». «رواه مسلم»

ومن شروط قبول الدعاء:

ألا تدعو بإثم. كما فى الحديث الشريف؟

«ما من مسلم يدعو الله عزَّ وجلَّ بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث:

- **إما أن يعجل دعوته**
- **وإما أن يدخرها له فى الآخرة**
- **وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»**

وفى الحديث الشريف الذى رواه أحمد والترمذى:

«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لايقبل دعاءً من لاهٍ»

ولاتَدعُوا على أنفسكم فعن رسول الله ﷺ قال:

«لاتدعو على أنفسكم، ولا على أولادكم، ولا على أموالكم فتصادف من الله ساعة يُنل فيها عطاء فيستجيب لكم». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

- **والأوقات المستحب فيها الدعاء**
- يوم عرفة
- وشهر رمضان فى كل الأوقات.
- ويوم الجمعة فيها ساعة إجابة
- ودبر كل صلاة
- وفى السجود. ففى الحديث الشريف:

«أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد»

- وبين الأذان والإقامة:

فقد روى الترمذى أن رسول الله ﷺ كان يقول بين الأذان والإقامة:

«سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة»

- والثلث الأخير من الليل لايرد فيه الدعاء

فعن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ:

«ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا حين يمضى ثلث الليل الأول ويقول:

«أنا الملك، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟، من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟» - رواه مسلم -

مالنا ندعو الله فلا يستجيب لنا؟!

سئل إبراهيم بن أدهم. العابد، الناسك مالنا ندعو الله فلا يستجيب الله لنا؟ فقال:

- لأنكم عرفتم الله ولم تؤدوا حقوقه
- وزعمتم حب رسوله ولم تعملوا بسنته
- وقرأتم القرآن ولم تحلوا حلاله وتحرموا حرامه
- وأكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها
- وقلتم: إن الجنة حق ولم تعملوا لها
- وقلتم: إن النار حق ولم تتقوها
- وقلتم: إن الموت حق ولم تعملوا له
- ودفنتم موتاكم ولم تتعظوا بهم
- وانتبهتم من نومكم فانشغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم

«رواه القرطبى فى صحيح الجامع»

الدعـــاء المستجـــاب

فعن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال فى الدعاء المستجاب لتفريج الهم والحزن:

«إذا أصاب أحدكم همٌ، وحزنٌ، يقول:

- اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماضٍ فىّ حُكمك عدلٌ، فىّ قضاءُك،

- أسألك بكل اسم هو لك.. سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك. أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك.. أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى، ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى.»

وقال رسول الله ﷺ: **«مامن أحد يدعو بهذا الدعاء إلا فرج الله همه وحزنه وأبدل مكانه فرجا»**. رواه الطبرانى، وأحمد، والترمذى.

(٦) الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر من أعظم الأعمال تقربا إلى الله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

بيان: ماذكر فى الآية الكريمة فرض كفاية ومن للتبعيض. والداعون الآمرون الناهون: «هم المفلحون»

- ويقول رب العزة:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)

● ويقول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١)

● وقال تبارك وتعالى:

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبه: ١١٢)

العابدون: المخلصون فى العبادة

- السائحون: الصائمون

- الحافظون لحدود الله: لأحكامه والعمل بها

● والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر تكون باللين والحكمة لتستجاب الدعوة:

فيقول رب العزة:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)

● والله تعالى يأمر موسى وأخاه هرون أن يذهبا إلى فرعون لدعوته إلى التوحيد فيقول لهما:

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٣، ٤٤)

● ومن هدى الرسول ﷺ عن الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر:

● روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال:

«والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»

وروى مسلم أن النبى ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن يارسول الله؟. قال: **«لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»**

سبقنا أن ذكرنا أن الله تعالى أمر عبادة بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

خاطب رسوله مبينا علاقته بأصحابه وأتباعه:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

* ففى مجال الدعوة إلى الله، لامكان للعنف ففى الحديث الصحيح:

«إن الله يحب الرفق فى الأمر كله»

وفى الأثر: (من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف)

● وقال ﷺ: **«مادخل الرفق فى شىء إلا زانه، ولا دخل العنف فى شىء إلا شانه»**

ولاشىء يشينه العنف إذا دخله (مثل الدعوة إلى الله) فإنها تحاول أن تدخل إلى أعماق الإنسان لتحصل منه شخصا وبيانا فى مشاعره ومفاهيمه وسلوكه وتبدل كيانه كله وتنشئ منه خلقا آخر، فكرا وشعورا وإرادة، كما أنها تهزُّ كيان الجماعة هزًّا، لتغير عقائدها المتوارثة وتقاليدها الراسخة وأخلاقها المتعارفة وأنظمتها السائدة.

وهذا كله لايمكن أن يتم إلا بحكمة وحسن التأنى للأمور، والمعرفة بطبيعة الإنسان وعباده، وجموده على القديم، وأنه أكثر شىء جدلا، فلابد من الترفق فى الدخول إلى عقله والتسلل إلى قلبه حتى تلين من شدته.

وهذا ماقصه علينا القرآن الكريم من مسالك الأنبياء والدعاة إلى الله من المؤمنين الصادقين❖

كما نرى فى دعوة إبراهيم لأبيه

ودعوة شعيب لقومه

ودعوة موسى لفرعون

ودعوة مؤمن آل فرعون، وكيف وقف يخاطب فرعون ومن معه حيث يشعرهم بأنهم قومه، يعنيه أن يبقى لهم ملكهم ويدوم لهم مجدهم، حيث يخاطبهم بهذه الروح فيقول:

﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا﴾ (غافر: ٢٩)

ثم يقول:

﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر: ٣٠، ٣١)

وبعد أن يخوف مؤمنُ قوم فرعون قومَه من عذاب الدنيا، يخوفهم من عذاب الآخرة، يقول:

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (غافر: ٣٢، ٣٣)

ويثابر هذا المؤمن المخلص فى دعوته، ترهيبا مرة، وترغيبا مرة أخرى بالحكمة والموعظة الحسنة، بقوله:

﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

❖ عن الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف للداعية الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي

مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (غافر: ٣٨ ـ ٤٢)

ثم يختم (مؤمنُ آل فرعون) دعوته إلى الله بقوله:

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٤)

وحسبنا وصية الله تعالى لموسى وهارون:

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٣ ، ٤٤)

وعندما ذهب موسى إلى فرعون ليعرض دعوته قال:

﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ (النازعات: ١٨، ١٩)

هذا هو أسلوب أصحاب الدعوة إلى الله للمعاندين والمخالفين.

ويستمر الأستاذ الداعية الدكتور يوسف القرضاوى فى كلامه فى كتابه «الصحوة الإسلامية» فيقول:

لقد اتبع بعض الشباب المخلصين فى دعوتهم الخشونة والشدة والغلظة.. لم يفرقوا بين الكبير والصغير ولا من له حق التوقير والتكريم كالعالم الفقيه والمعلم المربى ومن ليس كذلك.

وقديما فرق أئمة الحديث بين عوام المبتدعين ممن لايدعو إلى بدعته، وبين من نصب نفسه داعية للبدعة، مروجا لها، مناضلا عنها، فقبلوا رواية الأول وردوا رواية الآخر.

إلى هنا انتهى كلام الداعية والعالم الفقيه الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى

من صفات الداعية إلى الله

أولا: أن يكون ملما بمنهج الله تعالى وشرعه فيحل حلاله ويحرم حرامه

ثانيا: أن يكون ملما بكتاب الله: حفظا وتفسيرا وأسباب نزول الآيات (١)

ثالثا: أن يكون حافظا لأحاديث رسول الله وماترمى إليها ليكون أهلا للفتيا

رابعا: أن يكون ذا ثقافة عالية ملما بالموضوع الذى يدعو إليه، مؤيدا له من القرآن والسنة المطهرة

خامسا: أن يكون عالما بقضايا عصره وعلاجها على ضوء الكتاب والسنة.

سادسا: أن يلتزم بشرع الله مطيعا لربه، يوافق قولهُ لسانه.. حاله وأفعاله، ويمتثل بأعماله وسلوكه وأخلاقه سيرةَ نبيه الذى كان خُلُقهَ القرآن، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢)

سابعا: أن يكون على علم بآراء الفقهاء السابقين

ثامنا: أن يكون ملما بالتاريخ الإسلامى جملة وتفصيلا.

---

(١) ذكر أبو عبيد فى فضائل القرآن. قال عمر رضي الله عنه ذات يوم لابن عباس - رضى الله عنهما - : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة وكتابها واحد؟، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما أنزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولايدرون فيما أنزل، فيكون لكل قوم فيه رأى فإذا كان كذلك اختلفوا، وإذا اختلفوا اقتتلوا.

قال الإمام الشاطبى (وهو الصوفى الإمام الأندلسى): ماقاله ابن عباس - رضى الله عنهما - هو الحق، فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية عرف مخرجها وتأويلها وماقصد بها، وإذا جهل فيما نزلت احتمل النظر فيها أوجها.

(من كتاب الصحوة الإسلامية للأستاذ الداعية الدكتور يوسف القرضاوى)

تاسعا: على الداعية أن ينطق بالحق ويرفض الباطل، ولا يقبل المساومة على دينه أو التهاون فى شأن عقيدته ولايخاف وعدا ولا وعيدا، يحتمل العذاب، والصبر على البلاء مادام على الحق [١]

عاشرا: لايؤخذ العلم من صُحُفى ولا القرآن من مصحفى يقول الدكتور الداعية يوسف القرضاوى فى كتابه (الصحوة الإسلامية): كثير منهم (أى من الدعاة) لم يتلق العلم من أهله وشيوخه المختصين بمعرفته، وإنما تلقاه من الكتب والمصحف مباشرة دون أن تتاح له فرصة المراجعة والمناقشة والأخذ والرد، واختبار فهمه ومعلوماته ووضعها على مشرحة التجليل وطرحها على بساط البحث.. ولكنه قرأ شيئا وفهمه واستنبط منه، وربما أساء القراءة، أو أساء الفهم أو أساء الاستنباط وهو لايدرى.

وغفل هؤلاء الشباب (الدعاة) المخلصون أن علم الشريعة وفقهها لابد أن يرجعوا فيه إلى أهله الثقات.. إلى مرشد يأخذ بأيديهم، يفسر لهم الغوامض والمصطلحات ويرد الفروع إلى أصولها والنظائر إلى أشباهها.

ثم يقول الدكتور القرضاوى:

وهكذا دراسة الشريعة بغير معلم لاتسلم من مخاطرات ولاتخلو من ثغرات وآفات، لاتتضح إلا بالممارسة والاحتكاك، خصوصا عند مفارق الطرق ومواضع الاشتباه، وتعارض الأدلة والاعتبارات.

وهذا ماجعل علماء السلف يقولون:

(لاتأخذ القرآن من مصّحفى [٢] ولا العلم من صُحُفى [٣])

---

(١) يقول الداعية الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه (الصحوة الإسلامية) عن ندوة تلفزيونية لتحديد النسل. فقال أحد العلماء لمدير الندوة: هل الهدف التأييد أو المعارضة حتى أهيئ نفسى؟

(٢) مصّحفى: الذى حفظ القرآن من المصحف فحسب دون أن يتلقاه بالرواية والمشافهة من شيوخه وقرائه.

(٣) صُحُفى: الذى أخذ العلم من الصحف (الكتب) وحدها من غير أن يتتلمذ على أهل العلم ويتخرج على أيديهم.

الحادى عشر: الداعى إلى الله عليه أن يتخلى عن التشدد والغلو ويلزم جانب الاعتدال والتيسير والبعد عن التعسير.

وحسبنا من القرآن قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥) وحسبنا من السنة مارواه ابن عباس (**إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلك بالغلو فى الدين**)

وكان من هديه ﷺ أنه ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما. (متفق عليه)

الثانى عشر: أن يدعُوَ الداعى إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد بينا ذلك آنفا.

الثالث عشر: أن يلتزم الداعى إلى الله بأدب الدعوة والحوار. فيراعى حق الأبوة والأمومة والرحم مبتعدا عن الغلظة فى القول والخشونة فى الألفاظ.

كما يراعى حق السن فى الحوار ملتزما بالأدب والتوقير

ففى الحديث الشريف **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا»** أى يعرف له حقه.

الرابع عشر: ويقول الداعية الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه (الصحوة الإسلامية) بتصرف على الداعية أن يعايش جماهير الناس.. حرفيين وفلاحين وعمال.. فى المدن والقرى.. فى الحارات والأزقة.. لا يتعالى عليهم، وينزل إلى أرض الواقع لتسمع دعوته ويتقبلون منه وعظه وإرشاده.. فهكذا كان الدعاة والمصلحون.. والداعية الحكيم هو الذى يوصل الدعوة إلى غيره بآلية الطرق وأرق العبارات فقد ورد فى الأثر (من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف). وقال الإمام الغزالى فى «الإحياء» لا يأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر إلا فقيه فيما يأمر به، وفقيه فيما ينهى عنه حليم

فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهى عنه. وقال ﷺ لعائشة: «**إن الله يحب الرفق فى الأمر كله**» . متفق عليه .

والدعوة إلى الله ليست مجرد كلام يقال أو يكتب بل الاهتمام بأمر الناس وحل مشكلاتهم والبر بهم، وتقديم الخدمات الاجتماعية لهم وإصلاح ذات البين ومقاومة الشر بالحسنى.

أثر ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

لأننا تركنا (الدعوة إلى الله) والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فظن الناس أنهم على صواب، وانتشرت البدع وظهر الشرك بزيارة قبر فلان أو علان.. يسألوه حوائجهم، ويطوفون حول قبره، وينذرون له النذور، ويقبلون الضريح وأعتابه، ويطلقون البخور، ويضيئون له الشموع وهو تحت التراب بال.. فلا ينير قبره إلا عمله الصالح. ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ (الأنعام: ١٧)

وذهب الأمر إلى ماهو أدهى وأمر:

فصاحب هذا القبر: «مدده عالٍ» وللوصول إليه (إلى الميت) يتطلب شفاعة بعض أنصاره وأتباعه الأحياء

أما صاحب هذا القبر.. فيشفى الأمراض ويفرج (هو) الكرب عن المكروبين.

وهذا صاحب القبر الثالث.. يشفى النساء من العقم أن ينصر المظلوم.. وهو تحت التراب لاحول له ولاقوة.. إن هذا لشرك أكبر..

فماذا لوتمسك الناس بهدى ربهم وسنة نبيهم، ويَدْعون للميت بالمغفرة.. لايُطْلَبُ الدعاء من الميت.

ويقول ﷺ: «**اعملى يافاطمة فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا**»

ويقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ

فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٤)

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو الله دخل الجنة**». البخارى.

فمن دعا ميتا أو غائبا وأقبل إليه بقلبه رغبة إليه، ورهبة منه سواء سأله أو لم يسأله فهذا هو الشرك الذى لايغفره الله، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من لقى الله لايشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار**». مسلم.

فمن لقى الله بالشرك، قل أو كثر دخل النار، أما الشرك الأكبر فلا عمل معه ويوجب الخلود فى النار، ومن الشرك الاستعانة بغير الله. قال تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ[1]﴾ (يونس: ١٠٦)

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا[2]﴾ (الأنعام: ١٢٦)

وأختم كلامى بهذا الدعاء:

اللهم تفضل علينا فى الدنيا بالهداية بطاعتك والتمسك بشرعك وبسنة نبيك وأن تهدى المسلمين من ضل منهم بالرجوع إلى كتابك وسنة نبيك ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥، ١٦)

وأخص بالذكر زيارة قبور الصالحين.. فالزيارة مشروعة ولكن حسب ماشرعه الشارع على الوجه الشرعى.. دون شد الرحال إلى القبور تزار تبع

(١) الظالمين: يعني المشركين كما قال الله تعالي ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)

(٢) (وهذا) الذي أنت عليه يامحمد ـ صراط : طريق

(مستقيما): لاعوج فيه

ماحددته السنة المطهرة.. بالدعاء لأهل القبور طلبا لعفو الله ومغفرته والرحمة لهم.. مع تذكر الآخرة. أما الزيارة المحرمة فهو التمسح بها والطواف حولها والتوسل إلى الله بأهلها، والصلاة عندها وإسراجها، والبناء عليها والغلو فيها.. هذا محرم.. ووسيلة إلى الشرك.. ودعاء أهل القبور والاستعانة بهم وطلب الحوائج منهم.. فهذا هو الشرك الأكبر.. وهو مايفعله عبَّاد الأصنام فيقولون:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (الزمر: ٣)

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ (يونس: ١٨)

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها: أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة ومافيها من الصور فقال ﷺ:

«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»

وقال ﷺ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا»**

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعا: **«إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد»**. رواه أبو حاتم فى صحيحه.

وقال ﷺ:

«اللهم لاتجعل قبرى وثناً يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». رواه مالك فى الموطأ.

وعن على بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلا يجىء إلى فرجة كانت عند قبر النبى ﷺ فيدخل فيها فيدعو منها، فقال: سمعت عن أبى، عن جدى، عن رسول الله ﷺ:

«لاتتخذوا قبرى عيدا ولابيوتكم قبورا وصلوا علىّ فإن تسليمكم تبلغنى حيث كنتم»

وقال ابن عباس:

«لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» ـ رواه أهل السنة ـ

● وزيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكر الآخرة، ويشتغل الزائر بالدعاء والتضرع وقراءة القرآن للميت فإن ذلك ينفع الميت (١)

ويقول الزائر عند رؤية القبور «اللهم رب الأرواح الباقية والأجسام البالية والشعور المتمزقة والجلود المتقطعة والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أنزل علينا روحا منك وسلاما منى»

وزيارة النساء التى يخشى منهن الفتنة ويترتب على ذلك مفاسد فخروجهن لزيارة القبور حرام، باتفاق الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعى.

أما زيارة قبر النبى ﷺ فهى من أعظم القرب إلى الله تعالى

* * *

(١) «عن كتاب الفقه لعبد الرحمن الجُزَيْري»

المبحث السابع

الشكر والخوف والرجاء

• الشكر

خلق الله الخلق وأنعم عليهم بنعمه الكثيرة.. فهو تبارك وتعالى يعطى ولا يأخذ.. يُطْعِمُ ولا يُطْعَم.. يجير ولا يجار عليه.. فكان حقا علينا شكر الله تعالى.

- ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠)

- ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان: ١٢)

وشكر الله تعالى والخشية منه والرجاء فيه وحسن الظن به تنبع كلها من نبع واحد.. هو تقوى الله عزَّ وجلَّ.

فما أغزر نعم الله تنهمر على الناس ليلا ونهارا، فهى توجب الشكر والثناء عليه.

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ (يونس: ٦٠)

- ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ (يس: ٣٣ - ٣٥)

﴿ اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١)

وفى سورة (**الرحمن**) عدد الله عظيم نعمه وبَعْدَ كُلِّ نِعْمَةٍ يقول عزَّ

وجلَّ: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فشكر الله واجب لأنه ما أكثر النعم منَ المُنْعِم وما أقلّ الشاكرين له.. فالإقرار بالجميل من الخلق للخالق. وهو غنى عنهم. واجب ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٢)

● وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (ابراهيم: ٧)

● وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (النحل: ١١٤)

● وقال عزّ من قائل: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (سبأ: ١٥)

فالشكر شعور فى النفس الطيبة قبل أن يكون باللسان أو بالجوارح كالبذل والعطاء، فالقلب يقرّ بالثناء فى كل نبضة عرفانا بالنعم.

● ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٤)

تعبير من موسى عليه السلام.. الجائع الظمآن يفيد منتهى العبودية لله تعالى.

تعال معى إلى قول عائشة - رضى الله عنها - للنبى ﷺ عندما يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه:

يارسول الله أتصنع هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟

● فيرد المصطفى ﷺ بقوله: «**أفلا أكون عبدا شكورا**»

● وفى صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال:

● **«إن الله ليرضى عن العبد، يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها»**

وعن النعمان بن البشير وهو أول مولود فى الإسلام من الأنصار قال: قال رسول الله ﷺ:

● **«التحدث بالنعمة شكر وتركها كفر ومن لايشكر القليل لايشكر الكثير، ومن لايشكر الناس لايشكر الله والجماعة بركة والفرقة عذاب»**

الله سبحانه لاينفعه شكر ولايضره جحد كما لا تنفعه عبادة ولاتضره معصية. ولكن شكره واجب إقرارا بنعمه وفضله على خلقه.

● يقول فى سورة الأنفال:

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آية رقم: ٢٦)

ويقول تعالى:

● ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (القصص: ٧٣)

● ويقول: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٨)

ولقد بدأ الله بالسمع لأنه ثبت أن العصب السمعى يتكون أولا فى الطور الجنينى - فى الشهر الثالث - ثم تتكون بعد ذلك العصب البصرى - فى الشهر الخامس - وهذا إعجاز علمى للقرآن العظيم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا .. فهل على منكرى القرآن من الغربيين والمستشرقين والمبشرين أن يؤمنوا بالقرآن وبمبلغ القرآن للناس، وهو النبى الأمى.

لنرجع إلى موضوعنا

لقد خلق الله ليعبد فى الأرض وليعرفوه، فيوقروه ثم أسدى النعم لهذا الخلق، ليبتلى الإنسان أيشكر أم يكفر.

فيقول رب العزة فى سورة النمل ٤٠

- ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾

- وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (الزمر: ٧)

- وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣)

وقال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ (سبأ: ١٣)

فشكر الله يزيد من النعم ويملأ النفس خشوعا..

رغبة ورهبة.. فشكر الله على نعمة المال بأن تعين فقيرا فتسد رمقه وشكر الله على نعمة الصحة بأن تساعد صنيعنا، عطفًا ورحمة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه. ونعمة الرضا فترضى بما قسم الله لك فتكون أغنى الناس ونعمة الإيمان الذى قال عنه أحد الصالحين:

«لو عرف الملوك والأمراء مانحن فيه من سعادة لقاتلونا عليها» فشكر الله ذكر.. والخوف منه ذكر.. والرجاء فيه ذكر.

﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)

* * *

• الخوف

سئل على بن أبى طالب.. ماالتقوى؟

قال: «العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

فالخوف: عاطفة تنبع من معرفة الله، وكمال العلم به، وهو شعور بجلال الخلاق العليم والإكنان له بمايليق بجلاله

من عرف الله انتابه الوجل والخوف منه ومن ثم يشعر الإنسان بانتفاء ذاته أمام الذات العليه.

ومن هنا كان الخوف من الله ركنا من الإيمان به ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: ٢)

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الملك: ١٢)

وقال عزَّ من قائل:

﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: ٨)

وقال: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٩)

وقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣)

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الملك: ١٢)

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١)

فالخوف من الله ذكر ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)

❖❖❖❖❖

• الرجاء

إن الله تبارك وتعالى قد بسط سلطانه على كل شيء في البر والبحر.. في الأرض والسماء.. في الظلمات والنور.. داخل الصخرة الصماء في الليلة الظلماء. هو الخالق المبدع، يعلم مكنونات خلقه.. ظاهره وباطنه فهو في السماء إله وفي الأرض إله، يعطي ويمنع.. هو الرحمن الرحيم.

فهو عزَّ وجلَّ أحق من يرجى ويقصد

أليس الناس فقراء إلى الله؟

من هنا كان الرجاء عملا وافق موضعه وأصاب هدفه قال ابن الجوزي رحمه الله:

«خُلِقت لي همة عالية تطلب الغايات. بلغت السن فأخذت أسأل تطويل العمر من الله وتقوية البدن وبلوغ الآمال»

والرجاء في الله تعالى مقترن بالعمل، أما القعود والراحة فلا تبلغ رجاء ولا أملا.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩)

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٨)

وقال عزَّ من قائل:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)

وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٦)

ويقول تعالي: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (يونس: ١١)

فعلينا الرجاء

ومن الله الإجابة

فإذا امتلأ القلب بالخوف والخشية من الله فليس بينه وبين الله حجاب.. فيكون عبدا ربانيا لو أقسم علي الله لأبره.. أنا (أي رب العزة) أقول للشيء كن فيكون وهو (العبد) يقول للشيء كن فيكون.

فالرجاء في الله ذكر ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)

خاتمـــــــة

إن الحمدلله، والشكر لله وحده علي توفيقه إياي، ولقد بدأت أكتب لهذا المنهج بعد أن شغل فكري وشد مشاعري:

«الخلق والسلوك القويم في القرآن والسنة»

بعد أن جاءني خاطر - لا أدري - مناما كان أم يقظةً فجمعت عزيمتي لأنجز هذا العمل حيث لم أجدْ كتابا مصنفا بهذا التصنيف في المكتبة الإسلامية.

فجمعتُ ما استطعتُ من الآيات القرآنية الكريمة وألحلقتُ بها الأحاديث النبوية الشريفة والأحاديث القدسية، لتكون سهلة فى متناول الباحث.

وهذا الجُهدُ المتواضع. الذي تم بتوفيق الله عزَّ وَجلَّ وهدايته، أرجو أن يكون في ميزان حسناتي إنه سميع مجيب، خالصا لوجهه الكريم، وأن أكون قد حظيتُ فيه بالتوفيق، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

المراجـــــع

١ ـ **القرآن الكريم**

٢ ـ **الدليل الكامل لآيات القرآن الكريم** (د. حسين محمد فهمي الشافعي ـ طبعة المجلس الأعلي للشئون الإسلامية)

٣ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** للأستاذ/ محمد فؤاد عبدالباقي.

٤ ـ **تفسير الجلالين**

٥ ـ **تفسير وبيان القرآن الكريم** للشيخ محمد حسنين مخلوف

٦ ـ **تفسير القرآن الكريم لابن كثير**

٧ ـ **فتح الباري** ـ شرح صحيح البخاري ـ لابن حجر العسقلاني.

٨ ـ **رياض الصالحين** ـ محي الدين أبي زكريا النووي.

٩ ـ **الجامع الصحيح للبخاري**

١٠ ـ **صحيح مسلم**

١١ ـ **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ** للشيخ منصور ناصف

١٢ ـ **جامع الأحاديث القدسية** ـ ثلاثة أجزاء (لأبي عبدالرحمن عصام الدين الصبابطي)

١٣ ـ **الأحاديث القدسية** (لجنة السنة بالمجلس الأعلي للشئون الإسلامية طبعة ٩٧)

١٤ ـ **خلق المسلم** (للشيخ محمد الغزالي)

١٥ ـ **روضة الخطباء** (للشيخ فتحى بن عبدالفضيل بن علي)

١٦ - **عـدة الخطيب والواعظ في الأمـثـال والوعظ** (للدكـتـور/ محمد بكري إسماعيل)

١٧ - **مجموعة التوحيد** تأليف شيخ الإسلام بن تيمية، ومحمد ابن عبدالوهاب.

١٨ - **الصحوة الإسلاميـة بين الجحود والتطرف** للدكتور يوسف القرضاوي

١٩ - **العقوبة للإمام محمد أبو زهرة.**

٢٠ - **الموافقات للإمام الشاطبي الغرناطي الأندلسي** (حـ١، حـ ٤)

٢١ - **الجانب العاطفي في الإسلام** للداعية الشيخ محمد الغزالي رحمه الله.

الفهـــرس